مغامرات الفأر داني

ثورنتون دبليو برجس



مُغَامَرَاتُ الْفَأْرِ داني

تأليف
ثورنتون دبليو برجس

ترجمة
مروة ماهر

مراجعة
مروة عبد الفتاح شحاتة



مُغَامَرَاتُ الْفَأْرِ داني

ثورنتون دبليو برجس

The Adventures of Danny Meadow Mouse

Thornton W. Burgess

الناشر مؤسسة هنداوي سي آي سي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

٣ هاي ستريت، وندسور، SL4 1LD، المملكة المتحدة
تليفون: ١٧٥٣ ٨٣٢٥٢٢ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: http://www.hindawi.org

رسم الغلاف: حنان بغدادي.

الترقيم الدولي: ٩٧٨ ١ ٥٢٧٣ ١٣٤٤ ٦

المحتويات

الفصل الأول

داني فَأْرُ الْمُرُوجِ قَلِقٌ

جَلَسَ داني فَأْرُ الْمُرُوجِ عِنْدَ عَتَبَةِ بَابِ بَيْتِهِ وَاضِعًا ذَقَنَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَكَانَ مِنَ الْوَاضِحِ جِدًّا أَنَّ داني يُفَكِّرُ فِي أَمْرٍ مَا؛ فَقَدْ حَيَّا الظَّرِبَانَ جيمي بِإِيمَاءَةٍ وَحَسْبُ، بَلْ إِنَّهُ لَمْ يُحَيِّ الْأَرْنَبَ بيتر إِلَّا بِعِبَارَةِ «صَبَاحُ الْخَيْرِ» بِطَرِيقَةٍ حَادَّةٍ. وَلَمْ يَكُنِ السَّبَبُ مُبَاغَتَةَ الثَّعْلَبِ ريدي لَهُ بِالْأَمْسِ أَثْنَاءَ غَفْوَتِهِ حِينَ كَادَ ريدي يُنْهِي حَيَاتَهُ. كَلَّا، لَيْسَ هَذَا هُوَ السَّبَبَ. فَداني قَدْ تَعَلَّمَ الدَّرْسَ، وَلَمْ يَكُنْ ريدي لِيُبَاغِتَهُ ثَانِيَةً أَبَدًا، وَكَذَا لَمْ يَكُنِ السَّبَبُ أَنَّهُ وَحِيدٌ تَمَامًا بِلَا أَصْدِقَاءَ يَلْعَبُ مَعَهُمْ؛ فَداني كَانَ سَعِيدًا إِلَى حَدٍّ مَا لِأَنَّهُ بِمُفْرَدِهِ. الْحَقِيقَةُ أَنَّ داني فَأْرَ الْمُرُوجِ انْتَابَهُ الْقَلَقُ.

إِنَّ الْقَلَقَ هُوَ أَحَدُ أَسْوَأِ الْأُمُورِ فِي الْعَالَمِ، وَلَمْ يَبْدُ كَمَا لَوْ كَانَ هُنَاكَ أَيُّ شَيْءٍ يَسْتَدْعِي قَلَقَ داني فَأْرِ الْمُرُوجِ. وَلَكِنْ كَمَا تَعْلَمُونَ أَنَّهُ لَا شَيْءَ أَسْهَلُ مِنْ أَنْ تَبْحَثَ عَنْ شَيْءٍ يُقْلِقُكَ وَتُزْعِجُ نَفْسَكَ بِسَبَبِهِ، وَحِينَ تُزْعِجُ نَفْسَكَ بِهِ، تَهْتَمُّ كَثِيرًا بِأَنْ يَنْزَعِجَ كُلُّ مَنْ حَوْلَكَ بِالْقَدْرِ نَفْسِهِ بِهِ أَيْضًا. وَهَكَذَا كَانَ الْحَالُ مَعَ داني. نَعَتَهُ السِّنْجَابُ الْمُخَطَّطُ مَرَّتَيْنِ «بِالْمُتَذَمِّرِ» ذَلِكَ الصَّبَاحَ، وَكَذَا الْخُلْدُ جوني — الَّذِي تَعَارَكَ مَعَ الثَّعْلَبِ ريدي مِنْ أَجْلِ داني بِالْأَمْسِ — نَعَتَهُ «بِالنَّكِدِ». فِي رَأْيِكَ مَاذَا كَانَ خَطْبُ داني فَأْرِ الْمُرُوجِ؟ كَانَ داني قَلِقًا بِسَبَبِ قِصَرِ ذَيْلِهِ. أَجَلْ؛ هَذَا كُلُّ مَا فِي الْأَمْرِ، هَذَا مَا أَرَّقَ داني فَأْرَ الْمُرُوجِ فِي ذَلِكَ الصَّبَاحِ الْمُشْرِقِ.

بَعْضُ الْأَشْخَاصِ يَنْشَغِلُونَ بِمَظْهَرِهِمْ كَثِيرًا إِلَى الْحَدِّ الَّذِي يَدْفَعُهُمْ إِلَى الشُّعُورِ بِالتَّعَاسَةِ؛ فَهُمْ يَقْلَقُونَ لِأَنَّ مَظْهَرَهُمْ غَيْرُ جَذَّابٍ أَوْ بِهِمْ نَمَشٌ، أَوْ لِأَنَّهُمْ قِصَارٌ أَوْ طِوَالٌ

الْقَامَةِ، أَوْ لِأَنَّهُمْ نُحَفَاءُ أَوْ بُدَنَاءُ، إِلَى آخِرِ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ الَّتِي تَتَّسِمُ بِالسَّذَاجَةِ الشَّدِيدَةِ. وَكَانَ داني فَأْرُ الْمُرُوجِ شَدِيدَ السَّذَاجَةِ لِدَرَجَةِ أَنَّهُ كَانَ يَنْزَعِجُ بِسَبَبِ قِصَرِ ذَيْلِهِ.

كَانَ ذَيْلُهُ قَصِيرًا بِالْفِعْلِ! بِالتَّأْكِيدِ هُوَ قَصِيرٌ بِمَعْنَى الْكَلِمَةِ! مَعَ أَنَّ داني لَمْ يُدْرِكْ قَطُّ مَدَى قِصَرِهِ حَتَّى الْتَقَى صُدْفَةً بِابْنِ عَمِّهِ أبيض الساق، الَّذِي يَعِيشُ فِي الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ. كَانَ ابْنُ عَمِّهِ يَرْتَدِي ثِيَابًا غَايَةً فِي الْأَنَاقَةِ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ مَا يُمَيِّزُهُ هُوَ ذَيْلُهُ الطَّوِيلُ النَّحِيلُ الْجَمِيلُ، وَأَدْرَكَ داني فِي الْحَالِ قِصَرَ ذَيْلِهِ الضَّئِيلِ الْغَلِيظِ. وَبِالْكَادِ كَانَ لَدَيْهِ مِنَ الْكِبْرِيَاءِ مَا يَكْفِي لِيُبْقِيَ رَأْسَهُ مَرْفُوعًا كَمَا كَانَ عَهْدُهُ دَائِمًا. وَمُنْذُ ذَلِكَ الْحِينِ أَخَذَ يُفَكِّرُ وَيَتَسَاءَلُ كَيْفَ انْتَهَى الْمَطَافُ بِعَائِلَتِهِ إِلَى أَنْ صَارَ لَهَا مِثْلُ هَذِهِ الذُّيُولِ الْقَصِيرَةِ. ثُمَّ ازْدَادَ حِقْدُهُ وَبَدَأَ يَتَمَنَّى بِشِدَّةٍ أَنْ يَكُونَ لَهُ ذَيْلٌ طَوِيلٌ مِثْلَ ابْنِ عَمِّهِ أبيض الساق.

انْشَغَلَ داني لِلْغَايَةِ بِهَذِهِ الْأُمْنِيَةِ؛ بِأَنْ يَغْدُوَ لَهُ ذَيْلٌ طَوِيلٌ، حَتَّى نَسِيَ تَمَامًا أَنْ يَعْتَنِيَ بِذَيْلِهِ الَّذِي لَدَيْهِ، حَتَّى كَادَ أَنْ يَفْقِدَهُ وَيَفْقِدَ حَيَاتَهُ مَعَهُ. فَكَانَ صَقْرُ الْمُسْتَنْقَعَاتِ الْعَجُوزُ أبيض الذيل يَتَرَصَّدُ داني وَهُوَ جَالِسٌ هُنَاكَ مُكْفَهِرَّ الْوَجْهِ عِنْدَ عَتَبَةِ بَابِهِ؛ فَحَلَّقَ فَوْقَ قِمَمِ أَعْشَابِ الْمَرْجِ فِي هُدُوءٍ شَدِيدٍ، حَتَّى كَادَ يُمْسِكُ بِداني. وَلَوْلَا إِحْدَى النَّسَمَاتِ الصَّغِيرَةِ الْمَرِحَةِ، لَأَمْسَكَ صَقْرُ الْمُسْتَنْقَعَاتِ أبيض الذيل بِداني، وَكُلُّ هَذَا لِأَنَّ داني كَانَ حَقُودًا، وَهَذِهِ عَادَةٌ سَيِّئَةٌ لِلْغَايَةِ.

الفصل الثاني

داني وَذَيْلُه الْقَصِيرُ

لَمْ يُفَكِّرْ داني فَأْرُ الْمُرُوجِ إِلَّا فِي ذَيْلِهِ الْقَصِيرِ، وَكَانَ يَشْعُرُ بِالْخَجَلِ الشَّدِيدِ مِنْهُ، وَحِينَ يَمُرُّ أَيُّ أَحَدٍ، يَتَوَارَى داني بَعِيدًا عَنِ الْأَنْظَارِ كَيْ لَا يَرَوْا مَدَى قِصَرِ ذَيْلِهِ. وَبَدَلًا مِنَ اللَّعِبِ فِي ضَوْءِ الشَّمْسِ مِثْلَمَا اعْتَادَ أَنْ يَفْعَلَ، كَانَ يَجْلِسُ وَيَتَجَهَّمُ. وَبَعْدَ قَلِيلٍ بَدَأَ أَصْدِقَاؤُهُ يَمُرُّونَ عَلَيْهِ دُونَ أَنْ يَتَوَقَّفُوا عِنْدَهُ. وَأَخِيرًا فِي أَحَدِ الْأَيَّامِ جَلَسَ الضُّفْدَعُ الْعَجُوزُ أَمَامَ داني وَبَدَأَ يَطْرَحُ عَلَيْهِ أَسْئِلَةً.

سَأَلَ الضُّفْدَعُ الْعَجُوزُ: «مَا الْمُشْكِلَةُ؟»

فَأَجَابَ داني فَأْرُ الْمُرُوجِ: «لَا شَيْءَ.»

قَالَ الضُّفْدَعُ الْعَجُوزُ: «لَا أَظُنُّ أَنَّ هُنَاكَ بِالْفِعْلِ أَيَّةَ مُشْكِلَةٍ، لَكِنْ مَاذَا تَظُنُّ أَنْتَ أَنَّهُ مُشْكِلَةٌ؟»

تَمَلْمَلَ داني، بَيْنَمَا نَظَرَ الضُّفْدَعُ الْعَجُوزُ عَالِيًا إِلَى قُرْصِ الشَّمْسِ الْأَحْمَرِ الْمُسْتَدِيرِ، وَغَمَزَ لَهُ، وَتَسَاءَلَ: «إِنَّ أَشِعَّةَ الشَّمْسِ سَاطِعَةٌ كَمَا هِيَ الْحَالُ دَوْمًا، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟»

فَأَجَابَ داني: «بَلَى.»

اسْتَأْنَفَ الضُّفْدَعُ الْعَجُوزُ قَائِلًا: «لَدَيْكَ مَا يَكْفِي مِنْ طَعَامٍ وَشَرَابٍ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟»

فَأَجَابَ داني: «بَلَى.»

قَالَ الضُّفْدَعُ الْعَجُوزُ مُتَمَعِّنًا فِي وَجْهِ داني بِدِقَّةٍ: «يَبْدُو لِي أَنَّكَ تَرْتَدِي حُلَّةً أَنِيقَةً لِلْغَايَةِ. وَالطَّقْسُ مُشْمِسٌ، وَلَدَيْكَ وَفْرَةٌ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، وَلَدَيْكَ مَلَابِسُ جَمِيلَةٌ، لَا بُدَّ أَنَّكَ لَا تُدْرِكُ كَمْ أَنْتَ مَحْظُوظٌ يَا داني!»

نَكَّسَ داني رَأْسَهُ، وَأَخِيرًا نَظَرَ إِلَى أَعْلَى وَلَمَحَ بَرِيقًا دَافِئًا فِي عَيْنَي الضُّفْدَعِ الْعَجُوزِ، وَسَأَلَهُ: «أَيُّهَا الضُّفْدَعُ الْعَجُوزُ، كَيْفَ لِي أَنْ أَحْصُلَ عَلَى ذَيْلٍ طَوِيلٍ مِثْلَ ابْنِ عَمِّي أبيض الساق الَّذِي يَسْكُنُ الْغَابَةَ الْخَضْرَاءَ؟»

قَالَ الضُّفْدَعُ الْعَجُوزُ: «هَذِهِ هِيَ الْمُشْكِلَةُ إِذَنْ! هَا هَا هَا! يَا لَلْعَارِ يَا داني! يَا لَلْعَارِ يَا داني! وَبِمَ يُفِيدُكَ الذَّيْلُ الطَّوِيلُ؟! أَجِبْنِي.»

لَمْ يَدْرِ داني بِمَ يُجِيبُ لِبُرْهَةٍ، ثُمَّ تَجَرَّأَ وَقَالَ: «أَنَا ... أَنَا ... أَنَا سَأَبْدُو أَفْضَلَ بِكَثِيرٍ لَوْ كَانَ لِي ذَيْلٌ طَوِيلٌ.»

لَكِنَّ الضُّفْدَعَ الْعَجُوزَ ضَحِكَ وَقَالَ: «أَنْتَ لَمْ تَرَ أَبَدًا فَأْرَ مُرُوجٍ بِذَيْلٍ طَوِيلٍ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟ بِالطَّبْعِ لَمْ تَرَ. حِينَهَا سَيَكُونُ مَنْظَرًا عَجِيبًا! وَجَمِيعُ سُكَّانِ الْمُرُوجِ الْخَضْرَاءِ سَيَمُوتُونَ ضَحِكًا بِمُجَرَّدِ أَنْ يُشَاهِدُوا هَذَا الْمَنْظَرَ! أَتَعْلَمُ أَنَّكَ تَحْتَاجُ أَنْ تَكُونَ رَشِيقًا وَنَحِيلًا وَبَارِعًا كَيْ تَسْتَطِيعَ التَّنَقُّلَ بِذَيْلٍ طَوِيلٍ بِسَلَاسَةٍ، وَحِينَهَا سَيَكُونُ عِبْئًا عَلَيْكَ بِاسْتِمْرَارٍ! فَسَتُضْطَرُّ دَوْمًا إِلَى التَّفْكِيرِ فِي ذَيْلِكَ وَالْحِرْصِ عَلَى الِابْتِعَادِ بِهِ عَنِ الْأَذَى. انْظُرْ إِلَيَّ، فَأَنَا لَسْتُ جَذَّابًا، بَلْ يُطْلِقُ عَلَيَّ الْبَعْضُ أَنِّي قَبِيحُ الْمَنْظَرِ، وَفِي الْمُقَابِلِ لَا أَحَدَ يُحَاوِلُ الْإِمْسَاكَ بِي مِثْلَمَا يَفْعَلُ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون مَعَ الْمِنْكِ بيلي بِسَبَبِ فِرَائِهِ الْجَمِيلِ، كَمَا لَا يَسْعَى أَحَدٌ إِلَى احْتِجَازِي فِي قَفَصٍ لِعُذُوبَةِ صَوْتِي. فَأَنَا رَاضٍ تَمَامًا بِمَا أَنَا عَلَيْهِ، وَإِذَا أَخَذْتَ بِنَصِيحَتِي يَا داني، فَإِنَّكَ سَوْفَ تَرْضَى تَمَامًا بِمَا أَنْتَ عَلَيْهِ.»

قَالَ داني فَأْرُ الْمُرُوجِ بَعْدَ وَقْتٍ قَصِيرٍ: «رُبَّمَا تَكُونُ عَلَى حَقٍّ، سَوْفَ أُحَاوِلُ.»

الفصل الثالث

داني فَأْرُ الْمُرُوجِ يَلْعَبُ الْغُمَّيْضَةَ

الْحَيَاةُ دَائِمًا لُعْبَةُ غُمَّيْضَةٍ فِي عَيْنَيْ داني فَأْرِ الْمُرُوجِ، وَكَمَا تَعْلَمُونَ فَهُوَ فَأْرٌ قَصِيرٌ وَسَمِينٌ، وَهُنَاكَ عَدَدٌ كَبِيرٌ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ الْأُخْرَى الْمَكْسُوَّةِ بِالْفِرَاءِ وَالرِّيشِ مِمَّا هُمْ عَلَى اسْتِعْدَادٍ لِالْتِهَامِ داني عَلَى الْإِفْطَارِ أَوِ الْغَدَاءِ إِذَا تَمَكَّنُوا مِنْهُ، وَمَعَ أَنَّ بَعْضَهُمْ يَدَّعِي أَنَّهُمْ أَصْدِقَاؤُهُ، لَكِنَّ داني دَائِمًا يُبْقِي عَيْنَيْهِ مَفْتُوحَتَيْنِ عِنْدَ وُجُودِهِمْ فِي الْمَكَانِ وَيَبْدَأُ دَوْمًا فِي لَعِبِ الْغُمَّيْضَةِ، أَمَّا الْأَرْنَبُ بيتر وَالظَّرِبَانُ جيمي وَالسِّنْجَابُ الْمُخَطَّطُ وَالسِّنْجَابُ جاك السَّعِيدُ؛ فَهُمْ كُلُّهُمْ أَصْدِقَاؤُهُ وَيُمْكِنُهُ الْوُثُوقُ بِهِمْ، لَكِنْ تَظَلُّ عَيْنُهُ الْبَرَّاقَةُ اللَّامِعَةُ مَفْتُوحَةً حَذَرًا مِنَ الثَّعْلَبِ ريدي وَالْمِنْكِ بيلي وَابْنِ الْعِرْسِ شادو وَالْعَجُوزِ أبيض الذيل صَقْرِ الْمُسْتَنْقَعَاتِ، وَغَيْرُهُمُ الْكَثِيرُ، وَبِالْأَخَصِّ الْبُومَةُ هوتي أَثْنَاءَ اللَّيْلِ.

إِنَّ فَأْرَ الْمُرُوجِ داني حَيَوَانٌ صَغِيرٌ وَشُجَاعٌ؛ فَعِنْدَمَا تَهُبُّ الرِّيَاحُ الشَّمَالِيَّةُ الْعَنِيفَةُ بِصَفِيرِهَا عَبْرَ الْمُرُوجِ الْخَضْرَاءِ، وَتُمَزِّقُ السُّحُبَ الثَّلْجِيَّةَ، فَتَتَنَاثَرُ رَقَائِقُ الْجَلِيدِ حَتَّى تُغَطِّيَ الْمُرُوجَ الْخَضْرَاءَ عَنْ آخِرِهَا، لَا يَسَعُ داني سِوَى الِاحْتِمَاءِ فِي فِرَائِهِ الدَّافِئِ فِي بَيْتِهِ الْعُشْبِيِّ الصَّغِيرِ الْمُرِيحِ وَالِانْتِظَارِ هُنَاكَ. أَحَبَّ داني الثُّلُوجَ، بِالْفِعْلِ أَحَبَّ داني فَأْرُ الْمُرُوجِ الثُّلُوجَ؛ فَقَدْ كَانَ بِبَسَاطَةٍ يَعْشَقُ الْحُفَرَ فِي الثَّلْجِ وَمَدَّ الْأَنْفَاقِ، وَمِنْ خِلَالِ تِلْكَ الْأَنْفَاقِ الْمُنْتَشِرَةِ فِي جَمِيعِ الِاتِّجَاهَاتِ يُمْكِنُهُ الذَّهَابُ حَيْثُمَا يَشَاءُ وَوَقْتَمَا يَشَاءُ دُونَ أَنْ يَرَاهُ أَحَدٌ. كَانَ ذَلِكَ مَصْدَرَ مُتْعَةٍ عَظِيمَةٍ لَهُ.

وَعِنْدَ كُلِّ مَسَافَةٍ صَغِيرَةٍ كَانَ يَشُقُّهَا يَحْفُرُ فَتْحَةً دَائِرِيَّةً صَغِيرَةً نَحْوَ السَّطْحِ بِجِوَارِ سَاقِ عُشْبٍ يَابِسَةٍ. وَمِنْ خِلَالِ تِلْكَ الْفَتَحَاتِ، يَسْتَطِيعُ أَنْ يَخْتَلِسَ النَّظَرَ إِلَى السَّطْحِ الْمُغَطَّى بِالثُّلُوجِ، وَيَنْعَمَ بِالْهَوَاءِ الْبَارِدِ الْمُنْعِشِ. وَأَحْيَانًا عِنْدَمَا يَتَأَكَّدُ تَمَامًا أَنْ لَا أَحَدَ فِي الْأَنْحَاءِ، يَتَقَافَزُ فَوْقَ قِمَمِ الْجَلِيدِ مِنْ مَنْفَذٍ إِلَى آخَرَ، وَعِنْدَمَا يَفْعَلُ ذَلِكَ، يَتْرُكُ خَلْفَهُ أَجْمَلَ آثَارِ أَقْدَامٍ صَغِيرَةٍ.

عَلِمَ الثَّعْلَبُ ريدي بِأَمْرِ تِلْكَ الْفَتَحَاتِ وَمَنْ صَنَعَهَا. وَكَانَ ريدي يُوَاجِهُ مَشَقَّةً فِي الْحُصُولِ عَلَى مَا يَكْفِي لِيَأْكُلَهُ فِي هَذَا الطَّقْسِ الْبَارِدِ، فَكَانَ جَائِعًا مُعْظَمَ الْوَقْتِ. وَذَاتَ صَبَاحٍ، بَيْنَمَا كَانَ يَمْشِي عَلَى أَطْرَافِ أَصَابِعِهِ بِصَوْتٍ خَافِتٍ عَبْرَ الْمُرُوجِ، وَإِذْ بِهِ يَرَى أَمَامَهُ مُبَاشَرَةً رَأْسَ داني فَأْرِ الْمُرُوجِ بَارِزًا مِنْ إِحْدَى تِلْكَ الْفَتَحَاتِ الدَّائِرِيَّةِ الصَّغِيرَةِ! سَالَ لُعَابُ ريدي، وَتَسَلَّلَ فِي خِفَّةٍ قَدْرَ الْمُسْتَطَاعِ، وَحِينَ أَصْبَحَ عَلَى بُعْدِ قَفْزَةٍ وَاحِدَةٍ سَحَبَ سَاقَيْهِ الْخَلْفِيَّتَيْنِ الْقَوِيَّتَيْنِ مِنْ تَحْتِهِ، وَاسْتَعَدَّ لِلانْقِضَاضِ. وَفِي الْحَالِ اخْتَفَى داني فَأْرُ الْمُرُوجِ! وَمَعَ هَذَا قَفَزَ ريدي وَبَدَأَ يَحْفُرُ بِأَقْصَى سُرْعَةٍ تَقْدِرُ عَلَيْهَا مَخَالِبُهُ. وَاسْتَطَاعَ ريدي أَنْ يَشْتَمَّ رَائِحَةَ داني فَأْرِ الْمُرُوجِ مِمَّا كَادَ أَنْ يُفْقِدَهُ صَوَابَهُ.

طَوَالَ الْوَقْتِ ظَلَّ داني يَرْكُضُ بِطُولِ أَحَدِ أَنْفَاقِهِ الصَّغِيرَةِ، وَأَخِيرًا حِينَ تَوَقَّفَ الثَّعْلَبُ ريدي عَنِ الْحَفْرِ بِسَبَبِ انْقِطَاعِ أَنْفَاسِهِ، أَخْرَجَ داني رَأْسَهُ مِنْ فَتْحَةٍ صَغِيرَةٍ أُخْرَى وَسَخِرَ مِنْ ريدي. وَبِالْفِعْلِ رَآهُ ريدي وَحَاوَلَ الْإِمْسَاكَ بِهِ هُنَاكَ، وَأَخَذَ يَحْفُرُ بِجُنُونٍ تَمَامًا كَالْمَرَّةِ السَّابِقَةِ، لَكِنْ بِلَا شَكٍّ لَمْ يَكُنْ داني فَأْرُ الْمُرُوجِ هُنَاكَ.

وَبَعْدَ فَتْرَةٍ شَعَرَ الثَّعْلَبُ ريدي بِالْمَلَلِ مِنْ هَذَا النَّوْعِ مِنَ اللَّعِبِ وَجَرَّبَ خُطَّةً أُخْرَى، فَفِي الْمَرَّةِ التَّالِيَةِ الَّتِي رَأَى فِيهَا داني فَأْرَ الْمُرُوجِ يُبْرِزُ رَأْسَهُ لِلْخَارِجِ، تَظَاهَرَ بِأَنَّهُ لَا يَرَاهُ. وَأَرْخَى ريدي جَسَدَهُ بِالْكَامِلِ عَلَى الْأَرْضِ لِيُقْنِعَهُ بِأَنَّهُ مُنْهَكٌ لِلْغَايَةِ وَنَاعِسٌ، وَأَغْمَضَ عَيْنَيْهِ، ثُمَّ فَتَحَهُمَا عَلَى نَحْوٍ طَفِيفٍ لِلْغَايَةِ؛ كَيْ يَتَمَكَّنَ مِنْ رُؤْيَةِ داني فَأْرِ الْمُرُوجِ بَيْنَمَا يَبْدُو كَمَا لَوْ كَانَ نَائِمًا. وَرَاقَبَهُ داني لِفَتْرَةٍ طَوِيلَةٍ، ثُمَّ ضَحِكَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ نَفْسِهِ وَغَابَ بَعِيدًا عَنِ النَّظَرِ.

وَلَمْ يَلْبَثْ أَنِ ابْتَعَدَ حَتَّى تَسَلَّلَ الثَّعْلَبُ ريدي إِلَى جِوَارِ الْفَتْحَةِ الصَّغِيرَةِ وَانْتَظَرَ. قَالَ ريدي مُحَدِّثًا نَفْسَهُ: «بِالتَّأْكِيدِ سَوْفَ يُخْرِجُ رَأْسَهُ ثَانِيَةً؛ كَيْ يَرَى إِذَا كُنْتُ نَائِمًا، وَحِينَهَا سَأُمْسِكُ بِهِ.» فَانْتَظَرَ وَانْتَظَرَ، وَفِي النِّهَايَةِ الْتَفَتَ بِرَأْسِهِ، وَهُنَاكَ عِنْدَ فَتْحَةٍ صَغِيرَةٍ أُخْرَى كَانَ داني فَأْرُ الْمُرُوجِ يَسْخَرُ مِنْهُ!

الفصل الرابع

الْجَدَّةُ ثعلبة الْعَجُوزُ تَسْعَى لِلنَّيْلِ مِنْ داني فَأْرِ الْمُرُوجِ

لَمْ يَحْظَ داني فَأْرُ الْمُرُوجِ بِهَذَا الْقَدْرِ مِنَ الِاسْتِمْتَاعِ مُنْذُ زَمَنٍ مِثْلَمَا اسْتَمْتَعَ بِلُعْبَةِ الْغُمَّيْضَةِ تِلْكَ، فَظَلَّ داني يَبْتَهِجُ وَيَضْحَكُ طَوَالَ فَتْرَةِ مَا بَعْدَ الظَّهِيرَةِ وَهُوَ يُفَكِّرُ فِيمَا حَدَثَ. وَبِالطَّبْعِ ريدي كَانَ هُوَ «مِحْوَرَ الْحَدَثِ»؛ فَهُوَ كَانَ «مِحْوَرَ الْحَدَثِ» طَوَالَ الْوَقْتِ، وَهُوَ لَمْ يُمْسِكْ قَطُّ بداني وَلَوْ مَرَّةً. وَلَوْ أَمْسَكَ بِهِ ... حَسَنًا؛ لَنْ يَكُونَ هُنَاكَ الْمَزِيدُ مِنَ الْقِصَصِ عَنْ داني فَأْرِ الْمُرُوجِ؛ لِأَنَّهُ لَنْ يَكُونَ هُنَاكَ أَيُّ أَثَرٍ لِداني فَأْرِ الْمُرُوجِ بَعْدَهَا.

لَكِنَّ داني لَمْ يَسْمَحْ لِنَفْسِهِ أَبَدًا بِالتَّفْكِيرِ فِي هَذَا الشَّأْنِ، بَلْ كَانَ يَسْتَمْتِعُ بِاللُّعْبَةِ بِقَدْرٍ أَكْبَرَ فِي كُلِّ مَرَّةٍ لِأَنَّهَا مِثَالٌ لِلْأَلْعَابِ الْخَطِيرَةِ. وَيَا لَهَا مِنْ مُتْعَةٍ حِينَ يَغُوصُ دَاخِلَ إِحْدَى الْفَتَحَاتِ الدَّائِرِيَّةِ الصَّغِيرَةِ فِي الثُّلُوجِ، وَيَجْرِي بِطُولِ أَحَدِ أَنْفَاقِهِ الصَّغِيرَةِ الَّتِي صَنَعَهَا، ثُمَّ يَتَلَصَّصُ مِنْ فَتْحَةٍ أُخْرَى وَيُرَاقِبُ الثَّعْلَبَ وَهُوَ يَحْفُرُ بِأَقْصَى سُرْعَةٍ لَهُ عَلَى الْإِطْلَاقِ عِنْدَ الْفَتْحَةِ الَّتِي تَرَكَهَا داني لِتَوِّهِ! وَفِي النِّهَايَةِ اسْتَسْلَمَ ريدي فِي امْتِعَاضٍ وَغَادَرَ وَهُوَ يُتَمْتِمُ فِي غَضَبٍ بَحْثًا عَنْ شَيْءٍ آخَرَ لِلْغِذَاءِ، وَوَقَفَ داني فَوْقَ الثُّلُوجِ وَشَاهَدَهُ وَهُوَ يُغَادِرُ. وَصَاحَ داني بِصَوْتِهِ الْحَادِّ الصَّغِيرِ وَالْمَرِحِ:

ريدي الثَّعْلَبُ الْمَاكِرُ بِذِهْنٍ حَاضِرٍ شَاطِرٍ،
وَذِهْنِي أَنَا حَاضِرٌ وَبِرَشَاقَةٍ أَكْثَرَ قَادِرٌ.

فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ أَخْبَرَ الثَّعْلَبُ ريدي الْجَدَّةَ ثعلبة الْعَجُوزَ بِكُلِّ مُحَاوَلَاتِهِ لِلْإِمْسَاكِ بِداني فَأْرِ الْمُرُوجِ. وَاسْتَمَعَتِ الْجَدَّةُ وَرَأْسُهَا مَائِلٌ عَلَى نَاحِيَةٍ وَاحِدَةٍ، وَحِينَ أَخْبَرَهَا ريدي كَمْ أَنَّ ذَلِكَ الْفَأْرَ سَمِينٌ سَالَ لُعَابُ الْجَدَّةِ. وَلَعَلَّكَ أَيُّهَا الْقَارِئُ تُدْرِكُ أَنَّ فِي هَذَا الْوَقْتِ وَقَدْ غَطَّتِ الثُّلُوجُ مَنْطِقَتَي الْمُرُوجِ الْخَضْرَاءِ وَالْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ، فَإِنَّ الْجَدَّةَ ثعلبة وَريدي يُلَاقِيَانِ مَشَقَّةً فِي الْحُصُولِ عَلَى مَا يَكْفِي لِيَأْكُلَاهُ، وَكَانَا جَائِعَيْنِ مُعْظَمَ الْوَقْتِ.

قَالَتِ الْجَدَّةُ ثعلبة: «سَوْفَ أَذْهَبُ مَعَكَ إِلَى الْمُرُوجِ غَدًا فِي الصَّبَاحِ، وَحِينَهَا سَنَرَى إِذَا كَانَ داني فَأْرُ الْمُرُوجِ ذَكِيًّا كَمَا يَظُنُّ نَفْسَهُ.»

وَهَكَذَا وَفِي وَقْتٍ مُبَكِّرٍ مِنْ صَبَاحِ الْغَدِ الْمُشْرِقِ، ذَهَبَتِ الْجَدَّةُ ثعلبة الْعَجُوزُ وَالثَّعْلَبُ ريدي إِلَى الْمُرُوجِ، حَيْثُ يَعِيشُ داني فَأْرُ الْمُرُوجِ. وَكَانَ داني يَشْعُرُ فِي أَعْمَاقِهِ أَنَّ ريدي سَوْفَ يَعُودُ؛ لِذَا كَانَ يَرْقُبُ الْمَكَانَ، وَرَآهُمَا بِمُجَرَّدِ خُرُوجِهِمَا مِنَ الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ. وَحِينَ رَأَى الْجَدَّةَ ثعلبة الْعَجُوزَ، خَفَقَ قَلْبُ داني أَسْرَعَ قَلِيلًا مِنْ ذِي قَبْلُ؛ فَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ الْجَدَّةَ ثعلبة شَدِيدَةُ الذَّكَاءِ وَشَدِيدَةُ الْحِكْمَةِ، وَأَنَّهَا مُلِمَّةٌ بِمُعْظَمِ حِيَلِ سُكَّانِ الْمُرُوجِ وَالْغَابَةِ الصِّغَارِ.

قَالَ داني لِنَفْسِهِ: «سَتَكُونُ هَذِهِ اللُّعْبَةُ أَكْثَرَ إِثَارَةً مِنْ سَابِقَتِهَا.» وَهَرْوَلَ إِلَى أَسْفَلَ مُتَوَارِيًا عَنِ الْأَنْظَارِ لِيَتَحَقَّقَ مِنْ أَنَّ جَمِيعَ أَنْفَاقِهِ الصَّغِيرَةِ خَالِيَةٌ؛ كَيْ يَسْتَطِيعَ أَنْ يَجْرِيَ بِسُرْعَةٍ عَبْرَهَا إِذَا احْتَاجَ لِذَلِكَ. ثُمَّ تَلَصَّصَ مِنْ إِحْدَى الْفَتَحَاتِ الصَّغِيرَةِ الْمُتَوَارِيَةِ خَلْفَ أَجَمَةٍ مِنَ الْأَعْشَابِ الْعَالِيَةِ.

قَامَتِ الْجَدَّةُ ثعلبة الْعَجُوزُ بِتَجْهِيزِ ريدي لِلْبَحْثِ عَنْ فَتَحَاتِ داني الدَّائِرِيَّةِ الصَّغِيرَةِ، وَبِنَفْسِ السُّرْعَةِ الَّتِي وَجَدَهَا بِهَا، جَاءَتِ الْجَدَّةُ وَاشْتَمَّتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا؛ فَهِيَ تَعْلَمُ أَنَّهَا تَسْتَطِيعُ مِنْ خِلَالِ الرَّائِحَةِ مَعْرِفَةَ أَيِّ الْفَتَحَاتِ كَانَ داني عِنْدَهَا آخِرَ مَرَّةٍ. وَأَخِيرًا أَتَتْ مُبَاشَرَةً نَحْوَ أَجَمَةِ الْأَعْشَابِ الْعَالِيَةِ، فَانْحَنَى داني وَانْطَلَقَ بِطُولِ أَحَدِ أَنْفَاقِهِ الصَّغِيرَةِ، وَسَمِعَ الْجَدَّةَ ثعلبة وَهِيَ تَشْتَمُّ عِنْدَ الْفَتْحَةِ الَّتِي غَادَرَهَا لِتَوِّهِ، وَفَجْأَةً اخْتَرَقَ شَيْءٌ مَا الثُّلُوجَ، اخْتَرَقَهَا عِنْدَ كَعْبَيْهِ بِالضَّبْطِ، وَلَمْ يَحْتَجْ داني أَنْ يَنْظُرَ خَلْفَهُ كَيْ يَعْرِفَ أَنَّهَا الْجَدَّةُ ثعلبة بِنَفْسِهَا، وَصَرَخَ بِصَوْتِهِ الْحَادِّ فِي رُعْبٍ.

الفصل الخامس

مَاذَا حَدَثَ فِي الْمُرُوجِ الْخَضْرَاءِ؟

تَوَالَتِ الْأَحْدَاثُ الْحَرِجَةُ سَرِيعًا مَعَ داني فَأْرِ الْمُرُوجِ أَسْفَلَ الْمُرُوجِ الْخَضْرَاءِ الْمَكْسُوَّةِ بِالْجَلِيدِ، أَوْ بِالْأَحْرَى تَكَادُ أَنْ تَحْدُثَ. وَلَمْ يَكُنْ داني يُبَالِي كَثِيرًا حِينَ كَانَ الثَّعْلَبُ ريدي بِمُفْرَدِهِ يُحَاوِلُ الْإِمْسَاكَ بِهِ، بَلْ إِنَّهُ فِي الْحَقِيقَةِ جَعَلَ مِنْهَا لُعْبَةً غُمَّيْضَةٍ مُعْتَادَةً وَاسْتَمْتَعَ بِهَا كَثِيرًا. أَمَّا الْآنَ فَالْوَضْعُ مُخْتَلِفٌ، وَلَمْ يَكُنْ مِنَ السَّهْلِ خِدَاعُ الْجَدَّةِ ثعلبة مِثْلَمَا الْحَالُ مَعَ ريدي. فَوَحْدَهَا الْجَدَّةُ وَبِمُفْرَدِهَا يُمْكِنُهَا أَنْ تَجْعَلَ اللُّعْبَةَ خَطِرَةً عَلَى داني فَأْرِ الْمُرُوجِ، وَلَكِنَّ ريدي كَانَ يُرَافِقُهَا، وَهَكَذَا كَانَ أَمَامَ داني اثْنَانِ كَيْ يَحْذَرَ مِنْهُمَا، وَأَصَابَهُ الْفَزَعُ عِدَّةَ مَرَّاتٍ حَتَّى خُيِّلَ إِلَيْهِ كَمَا لَوْ كَانَ قَلْبُهُ قَفَزَ وَبَلَغَ حَنْجَرَتَهُ وَلَنْ يَعُودَ إِلَى مَوْضِعِهِ مَرَّةً أُخْرَى. أَجَلْ يَا سَيِّدِي، هَكَذَا بَدَا الْأَمْرُ بِالضَّبْطِ.

هُنَاكَ بِالْأَسْفَلِ فِي أَنْفَاقِهِ الصَّغِيرَةِ تَحْتَ الْجَلِيدِ شَعَرَ داني فَأْرُ الْمُرُوجِ بِالْأَمَانِ التَّامِّ مِنْ جَانِبِ الثَّعْلَبِ ريدي الَّذِي قَدْ يَتَوَقَّفُ وَيَحْفُرُ بِجُنُونٍ عِنْدَ الْفَتْحَةِ الدَّائِرِيَّةِ الصَّغِيرَةِ حَيْثُ رَأَى داني آخِرَ مَرَّةٍ. وَلَكِنَّ الْجَدَّةَ ثعلبة الْعَجُوزَ عَرَفَتْ كُلَّ شَيْءٍ عَنْ تِلْكَ الْأَنْفَاقِ الصَّغِيرَةِ، وَلَمْ تُضِعْ أَيَّ وَقْتٍ فِي الْحَفْرِ عِنْدَ الْفَتَحَاتِ، بَلْ أَمَالَتْ أُذُنَيْهَا الصَّغِيرَتَيْنِ حَادَّتَي السَّمْعِ وَحَاوَلَتْ جَاهِدَةً أَنْ تَسْتَمِعَ. وَهَكَذَا فَالْجَدَّةُ ثعلبة بِمَا لَدَيْهَا مِنْ أُذُنَيْنِ مُرْهَفَتَيْنِ لِلْغَايَةِ، بِالتَّأْكِيدِ أُذُنَانِ مُرْهَفَتَا السَّمْعِ لِلْغَايَةِ، سَمِعَتْ بِالضَّبْطِ مَا تَمَنَّتْ أَنْ تَسْمَعَهُ، سَمِعَتْ داني فَأْرَ الْمُرُوجِ وَهُوَ يَجْرِي بِطُولِ أَحَدِ أَنْفَاقِهِ الصَّغِيرَةِ أَسْفَلَ الْجَلِيدِ.

ثُمَّ اخْتَرَقَتِ الْجَدَّةُ ثعلبة الْعَجُوزُ الثُّلُوجَ دَاخِلَ نَفَقِ داني فَأْرِ الْمُرُوجِ مُبَاشَرَةً، بَلْ إِنَّ قَدَمَيْهَا السَّوْدَاوَيْنِ لَامَسَتَا ذَيْلَ داني بِالْفِعْلِ. وَحِينَهَا فَرِحَ داني لِأَنَّ ذَيْلَهُ لَيْسَ طَوِيلًا.

صَاحَتِ الْجَدَّةُ ثعلبة: «أَخْ! كِدْتُ أَنْ أُمْسِكَ بِهِ هَذِهِ الْمَرَّةَ!»

ثُمَّ جَرَتْ إِلَى الْأَمَامِ لِمَسَافَةٍ بَسِيطَةٍ فَوْقَ الثُّلُوجِ، وَأَخَذَتْ تَسْتَمِعُ مِثْلَمَا فَعَلَتْ مِنْ قَبْلُ. ثُمَّ اخْتَرَقَتِ الثُّلُوجَ مِنْ جَدِيدٍ. وَلِحُسْنِ حَظِّهِ كَانَ داني قَدِ انْعَطَفَ لِتَوِّهِ فِي نَفَقٍ آخَرَ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَتَمَكَّنَتِ الْجَدَّةُ مِنَ الْإِمْسَاكِ بِهِ بِكُلِّ تَأْكِيدٍ.

زَفَرَتِ الْجَدَّةُ ثعلبة الثُّلُوجَ مِنْ أَنْفِهَا، وَقَالَتْ: «سَأُمْسِكُ بِهِ الْمَرَّةَ الْقَادِمَةَ!»

كَانَ الثَّعْلَبُ ريدي سَرِيعَ التَّعَلُّمِ، وَبِخَاصَّةٍ حِينَ يَكُونُ مَا يَتَعَلَّمُهُ يَتَعَلَّقُ بِطَرِيقَةٍ يَحْصُلُ بِهَا عَلَى شَيْءٍ لِيَأْكُلَهُ. فَرَاقَبَ الْجَدَّةَ ثعلبة، وَحِينَ فَهِمَ مَا كَانَتْ تَفْعَلُهُ، عَزَمَ أَنْ يُحَاوِلَ بِنَفْسِهِ؛ إِذْ كَانَ يَخْشَى فِي حَالِ أَمْسَكَتِ الْجَدَّةُ بِداني فَأْرِ الْمُرُوجِ، فَسَوْفَ تُفَكِّرُ أَنَّهُ لَيْسَ كَبِيرًا بِمَا يَكْفِي كَيْ تَقْتَسِمَهُ مَعَهُ، وَرُبَّمَا السَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ ريدي نَفْسَهُ شَدِيدُ الْأَنَانِيَةِ. وَلِذَا عِنْدَ الْمَرَّةِ التَّالِيَةِ الَّتِي اخْتَرَقَتْ فِيهَا الْجَدَّةُ الثُّلُوجَ وَلَمْ تَسْتَطِعِ الْإِمْسَاكَ بِداني فَأْرِ الْمُرُوجِ كَمَا سَبَقَ، انْدَفَعَ ريدي أَمَامَهَا، وَلَحْظَةَ سَمَاعِهِ لِداني وَهُوَ يَرْكُضُ تَحْتَهُ بِالْأَسْفَلِ، اخْتَرَقَ الثُّلُوجَ تَمَامًا كَمَا رَأَى الْجَدَّةَ تَفْعَلُ. وَلَكِنَّهُ لَمْ يَتَكَبَّدْ عَنَاءَ التَّيَقُّنِ مِنْ مَكَانِ داني بِالضَّبْطِ، وَهَكَذَا بِالطَّبْعِ لَمْ يَتَمَكَّنْ مِنَ الِاقْتِرَابِ مِنْ مَكَانِ داني، إِلَّا أَنَّهُ أَصَابَ داني بِالذُّعْرِ أَكْثَرَ كَمَا جَعَلَ الْجَدَّةَ ثعلبة الْعَجُوزَ تَفْقِدُ صَوَابَهَا.

مِسْكِينٌ داني فَأْرُ الْمُرُوجِ! لَمْ يَخَفْ قَطُّ إِلَى هَذَا الْحَدِّ فِي حَيَاتِهِ كُلِّهَا، وَلَمْ يَدْرِ فِي أَيِّ طَرِيقٍ يَنْعَطِفُ وَلَا أَيْنَ يَجْرِي. وَهَكَذَا بَقِيَ سَاكِنًا، وَكَانَ هَذَا — مَعَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ ذَلِكَ — أَفْضَلَ مَا يُمْكِنُ عَمَلُهُ عَلَى الْإِطْلَاقِ؛ فَحِينَ جَلَسَ سَاكِنًا لَمْ يَصْدُرْ عَنْهُ أَيُّ صَوْتٍ، وَهَكَذَا بِالطَّبْعِ لَمْ تَتَمَكَّنِ الْجَدَّةُ أَوْ ريدي الثَّعْلَبُ مِنْ مَعْرِفَةِ مَكَانِهِ. وَجَلَسَتِ الْجَدَّةُ ثعلبة الْعَجُوزُ تُصْغِي أَكْثَرَ وَأَكْثَرَ، وَتَسَاءَلَتْ أَيْنَ هُوَ داني فَأْرُ الْمُرُوجِ. وَهُنَاكَ بِالْأَسْفَلِ تَحْتَ الثُّلُوجِ جَلَسَ داني فَأْرُ الْمُرُوجِ يُصْغِي أَكْثَرَ وَأَكْثَرَ، وَتَسَاءَلَ أَيْنَ الْجَدَّةُ ثعلبة وَالثَّعْلَبُ ريدي.

قَالَتِ الْجَدَّةُ ثعلبة بَعْدَ فَتْرَةٍ: «سُحْقًا! فَأْرُ الْمُرُوجِ هَذَا يَظُنُّ أَنَّهُ قَادِرٌ عَلَى خِدَاعِي بِبَقَائِهِ سَاكِنًا. سَوْفَ أُرَوِّعُهُ.»

ثُمَّ بَدَأَتْ تَغُوصُ دَاخِلَ الْجَلِيدِ هُنَا وَهُنَاكَ، وَكَمَا هُوَ مُتَوَقَّعٌ، وَبَعْدَ قَلِيلٍ هَبَطَتْ عَلَى مَقْرُبَةٍ شَدِيدَةٍ مِنْ داني فَأْرِ الْمُرُوجِ، حَتَّى إِنَّ أَحَدَ مَخَالِبِهَا أَصَابَهُ بِجُرْحٍ.

الفصل السادس

داني فَأْرُ الْمُروجِ يَتَذَكَّرُ، وَريدي الثَّعْلَبُ يَنْسَى

صَاحَتِ الْجَدَّةُ ثعلبة الْعَجُوزُ: «هَا هُوَ يَنْطَلِقُ هُنَاكَ! لَا تَدَعْهُ يَسْكُنُ ثَانِيَةً!»

وَصَاحَ ريدي الثَّعْلَبُ: «أَنَا أَسْمَعُ خُطُوَاتِهِ!» وَغَاصَ فِي الْجَلِيدِ تَمَامًا مِثْلَمَا فَعَلَتِ الْجَدَّةُ ثعلبة مُنْذُ دَقِيقَةٍ. وَلَكِنَّهُ لَمْ يَخْرُجْ بِأَيِّ شَيْءٍ، وَحِينَ زَفَرَ الثَّلْجَ مِنْ أَنْفِهِ وَمَسَحَهُ مِنْ عَيْنَيْهِ، رَأَى الْجَدَّةَ ثعلبة وَهِيَ تَخْتَرِقُ الثُّلُوجَ وَتَخْرُجُ خَاوِيَةَ الْوِفَاضِ هِيَ الْأُخْرَى.

قَالَتِ الْجَدَّةُ ثعلبة: «لَا تَشْغَلْ بَالَكَ، مَا دُمْنَا نَضْطَرُّهُ إِلَى الرَّكْضِ، فَيُمْكِنُنَا أَنْ نَسْمَعَهُ، وَفِي إِحْدَى تِلْكَ الْمَرَّاتِ سَوْفَ نُمْسِكُ بِهِ. وَعَمَّا قَرِيبٍ سَيُنْهِكُهُ التَّعَبُ وَلَنْ يَبْقَى خَفِيفَ الْحَرَكَةِ هَكَذَا، وَعِنْدَمَا يَصِلُ إِلَى تِلْكَ الْحَالَةِ ...» وَلَمْ تُكْمِلِ الْجَدَّةُ كَلَامَهَا، غَيْرَ أَنَّهَا لَعِقَتْ شَفَتَيْهَا وَكَأَنَّهَا تَتَلَذَّذُ بِمَذَاقِهِ. وَابْتَسَمَ ريدي الثَّعْلَبُ ابْتِسَامَةً وَاسِعَةً كَشَفَتْ عَنْ أَسْنَانِهِ، ثُمَّ لَعِقَ شَفَتَيْهِ كَأَنَّهُ يَتَلَذَّذُ بِمَذَاقِ داني هُوَ الْآخَرُ. وَبَعْدَهَا وَمِنْ جَدِيدٍ أَخَذَا يَتَنَاوَبَانِ الْغَوْصَ فِي الثُّلُوجِ.

وَهُنَاكَ بِالْأَسْفَلِ فِي الْأَنْفَاقِ الصَّغِيرَةِ الَّتِي صَنَعَهَا، كَانَ داني فَأْرُ الْمُرُوجِ يَرْكُضُ لِلنَّجَاةِ بِحَيَاتِهِ. وَبَدَأَ يُنْهِكُهُ التَّعَبُ، بِالضَّبْطِ كَمَا قَالَتِ الْجَدَّةُ ثعلبة الْعَجُوزُ أَنَّهُ سَيَحْدُثُ، وَكَانَ يَتَنَفَّسُ بِصُعُوبَةٍ بَالِغَةٍ وَيَتَأَلَّمُ كَمَا جُرِحَتْ إِحْدَى رِجْلَيْهِ؛ فَفِي قَفْزَةٍ مِنْ قَفزَاتِهَا كَادَتِ الْجَدَّةُ ثعلبة الْعَجُوزُ أَنْ تُمْسِكَ بِهِ لِدَرَجَةِ أَنَّ مَخَالِبَهَا مَزَّقَتْ بِنْطَالَ داني وَأَصَابَتْهُ بِخُدُوشٍ.

قَالَ داني فَأْرُ الْمُرُوجِ وَهُوَ يَلْهَثُ: «يَا إِلَهِي! يَا إِلَهِي! لَوْ كَانَ لَدَيَّ فَقَطِ الْوَقْتُ كَيْ أُفَكِّرَ!» ثُمَّ صَرَخَ بِصَوْتِهِ الْحَادِّ بِرُعْبٍ أَكْبَرَ حِينَ هَوَى الثَّعْلَبُ ريدي إِلَى دَاخِلِ نَفَقِ داني عِنْدَ كَعْبَيْهِ بِالضَّبْطِ. قَالَ داني وَهُوَ يَبْكِي: «عَلَيَّ الذَّهَابُ إِلَى مَكَانٍ مَا! عَلَيَّ الذَّهَابُ إِلَى مَكَانٍ مَا حَيْثُ لَا يَسْتَطِيعَانِ الْوُصُولَ إِلَيَّ!» وَفِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ بِالذَّاتِ تَذَكَّرَ عَمُودَ السِّيَاجِ الْقَدِيمَ!

كَانَ عَمُودُ السِّيَاجِ الْقَدِيمُ يَمْتَدُّ فَوْقَ الْأَرْضِ وَمُجَوَّفًا، وَمَرْبُوطَةً بِهِ أَسْلَاكٌ طَوِيلَةٌ ذَاتُ أَسْنَانٍ حَادَّةٍ وَمُدَبَّبَةٍ. وَكَانَ داني قَدْ صَنَعَ نَفَقًا يَصِلُ إِلَى عَمُودِ السِّيَاجِ الْقَدِيمِ مُنْذُ الْيَوْمِ الْأَوَّلِ بَعْدَ تَسَاقُطِ الثُّلُوجِ، فَبِدَاخِلِ التَّجْوِيفِ فِي الْعَمُودِ الْقَدِيمِ كَانَ لَدَيْهِ مَخْبَأٌ سِرِّيٌّ لِلْبُذُورِ. لِمَاذَا لَمْ يُفَكِّرْ فِيهِ مِنْ قَبْلُ؟ لَا بُدَّ أَنَّهُ كَانَ مَذْعُورًا لِلْغَايَةِ فَلَمْ يَسْتَطِعِ التَّفْكِيرَ. لَكِنَّهُ تَذَكَّرَ الْآنَ، وَتَحَرَّكَ فِي مُرَاوَغَةٍ دَاخِلَ النَّفَقِ الْمُؤَدِّي إِلَى عَمُودِ السِّيَاجِ الْقَدِيمِ، وَجَرَى أَسْرَعَ مِنْ أَيِّ وَقْتٍ مَضَى، وَمَعَ أَنَّ قَلْبَهُ قَفَزَ وَبَلَغَ حَنْجَرَتَهُ مِنْ شِدَّةِ رُعْبِهِ، إِلَّا أَنَّ فِي دَاخِلِ قَلْبِهِ كَانَ هُنَاكَ أَمَلٌ، وَالْأَمَلُ شَيْءٌ رَائِعٌ.

كَانَتِ الْجَدَّةُ ثعلبة الْعَجُوزُ تَعْلَمُ بِأَمْرِ عَمُودِ السِّيَاجِ الْقَدِيمِ ذَاكَ وَتَذَكَّرَتْ كُلَّ شَيْءٍ عَنْ تِلْكَ الْأَسْلَاكِ الْمُسَنَّنَةِ الْمُثَبَّتَةِ فِيهِ، وَبِرَغْمِ أَنَّهَا كَانَتْ مُغَطَّاةً بِالثَّلْجِ فَإِنَّ الْجَدَّةَ كَانَتْ تَعْرِفُ مَكَانَهَا تَقْرِيبًا، وَبِالضَّبْطِ قَبْلَ أَنْ تَصِلَ إِلَى الْأَسْلَاكِ تَوَقَّفَتِ الْجَدَّةُ عَنِ الْقَفْزِ دَاخِلَ الثُّلُوجِ. وَكَانَ الثَّعْلَبُ ريدي هُوَ الْآخَرُ يَعْلَمُ بِشَأْنِ تِلْكَ الْأَسْلَاكِ، لَكِنَّهُ كَانَ مُتَحَمِّسًا لِلْغَايَةِ حَتَّى إِنَّهُ نَسِيَهَا تَمَامًا.

صَاحَتِ الْجَدَّةُ ثعلبة الْعَجُوزُ بِحِدَّةٍ: «تَوَقَّفْ!»

لَكِنَّ الثَّعْلَبَ ريدي لَمْ يَسْمَعْهَا، أَوْ لَوْ كَانَ سَمِعَهَا فَهُوَ لَمْ يُبَالِ. فَقَدْ تَمَكَّنَتْ أُذُنَاهُ الْحَادَّتَانِ مِنْ سَمَاعِ داني فَأْرِ الْمُرُوجِ وَهُوَ يَرْكُضُ وَيَكَادُ أَنْ يَكُونَ أَسْفَلَهُ مُبَاشَرَةً. تَسْتَطِيعُ الْجَدَّةُ ثعلبة التَّوَقُّفَ إِذَا أَرَادَتْ، أَمَّا ريدي فَسَوْفَ يَتَنَاوَلُ داني فَأْرَ الْمُرُوجِ كَإِفْطَارٍ لَهُ! وَإِلَى الْأَسْفَلِ دَاخِلَ الثَّلْجِ قَفَزَ ريدي بِأَقْصَى مَا يَسْتَطِيعُ عَلَى الْإِطْلَاقِ.

«آااهٍ! آااهٍ! يَاهْ! يَاهْ! يَا إِلَهِي! يَا إِلَهِي!»

لَمْ يَكُنْ هَذَا صَوْتَ داني فَأْرِ الْمُرُوجِ، يَا إِلَهِي! كَلَّا! بَلْ هُوَ صَوْتُ ريدي. أَجَلْ يَا سَيِّدِي، كَانَ هَذَا صَوْتَ الثَّعْلَبِ ريدي؛ فَقَدْ هَبَطَ بِإِحْدَى أَقْدَامِهِ السَّوْدَاءِ مُبَاشَرَةً فَوْقَ إِحْدَى أَسْنَانِ السِّيَاجِ الْحَادَّةِ تِلْكَ، وَآلَمَتْهُ بِالْفِعْلِ عَلَى نَحْوٍ مُرِيعٍ.

صَاحَتِ الْجَدَّةُ ثعلبة الْعَجُوزُ فِي غَضَبٍ: «لَمْ أَلْتَقِ قَطُّ بِأَيِّ ثَعْلَبٍ صَغِيرٍ يَتَوَرَّطُ فِي هَذَا الْقَدْرِ مِنَ الْمُشْكِلَاتِ مِثْلَكَ!» بَيْنَمَا سَارَ ريدي مِنْ خَلْفِهَا وَهُوَ يَعْرُجُ عَلَى سِيقَانٍ ثَلَاثَةٍ عَبْرَ الْمُرُوجِ الْخَضْرَاءِ الْمُغَطَّاةِ بِالْجَلِيدِ، وَأَضَافَتِ الْجَدَّةُ: «لَقَدْ نِلْتَ مَا تَسْتَحِقُّهُ بِسَبَبِ نِسْيَانِكَ!»

قَالَ ريدي بِاسْتِسْلَامٍ: «أَجَلْ يَا سَيِّدَتِي!»

وَفِي أَمَانٍ دَاخِلَ تَجْوِيفِ عَمُودِ السِّيَاجِ الْقَدِيمِ، كَانَ داني فَأْرُ الْمُرُوجِ يُضَمِّدُ الْخَدْشَ عَلَى رِجْلِهِ الَّذِي تَسَبَّبَتْ فِيهِ مَخَالِبُ الْجَدَّةِ ثعلبة الْعَجُوزِ.

الفصل السابع

الْجَدَّةُ ثعلبة الْعَجُوزُ تُجَرِّبُ خُطَّةً جَدِيدَةً

ظَلَّتِ الْجَدَّةُ ثعلبة الْعَجُوزُ تُفَكِّرُ فِي داني فَأْرِ الْمُرُوجِ. وَكَانَتْ تَعْرِفُ أَنَّهُ سَمِينٌ؛ وَكَانَ ذَلِكَ يُسِيلُ لُعَابَهَا كُلَّمَا فَكَّرَتْ فِيهِ. وَحَسَمَتْ أَمْرَهَا أَنَّ عَلَيْهَا الْحُصُولَ عَلَيْهِ وَسَوْفَ تَحْصُلُ عَلَيْهِ. وَعَلِمَتْ أَنَّ داني كَانَ فِي غَايَةِ الذُّعْرِ حِينَ كَانَتْ هِيَ وَريدي يُحَاوِلَانِ جَاهِدَيْنِ الْإِمْسَاكَ بِهِ عَنْ طَرِيقِ اخْتِرَاقِ الثُّلُوجِ وُصُولًا إِلَى أَنْفَاقِهِ الصَّغِيرَةِ كَيْ يَلْحَقَا بِهِ، وَأَحَسَّتْ بِمَا لَا يَدَعُ مَجَالًا لِلشَّكِّ أَنَّ داني لَنْ يَبْتَعِدَ عَنْ عَمُودِ السِّيَاجِ الْقَدِيمِ؛ فَفِي هَذَا التَّجْوِيفِ يَبْقَى داني قَابِعًا وَآمِنًا.

كَانَتِ الْجَدَّةُ ثعلبة الْعَجُوزُ مُتَّقِدَةَ الذَّكَاءِ. وَلِذَا قَالَتْ لِنَفْسِهَا: «إِنَّ داني فَأْرَ الْمُرُوجِ لَنْ يُخْرِجَ أَنْفَهُ مِنْ عَمُودِ السِّيَاجِ الْقَدِيمِ ذَاكَ عَلَى مَدَى يَوْمٍ أَوْ يَوْمَيْنِ. وَبَعْدَهَا سَيُصِيبُهُ السَّأَمُ مِنَ الْمُكُوثِ بِالدَّاخِلِ طَوَالَ الْوَقْتِ، وَسَوْفَ يَتَلَصَّصُ مِنْ إِحْدَى الْفَتَحَاتِ الدَّائِرِيَّةِ الصَّغِيرَةِ الَّتِي صَنَعَهَا كَيْ يَرَى إِذَا كَانَ الطَّرِيقُ آمِنًا. وَإِذَا لَمْ يَرَ أَيَّ خَطَرٍ، فَسَوْفَ يَخْرُجُ وَيَلْعَبُ بِطَيْشٍ فَوْقَ الْجَلِيدِ كَيْ يَحْصُلَ عَلَى بَعْضِ الْبُذُورِ مِنْ قِمَمِ الْأَعْشَابِ الْعَالِيَةِ الَّتِي تَبْرُزُ مِنْ بَيْنِ الثُّلُوجِ. وَإِذَا لَمْ يُخِفْهُ شَيْءٌ، فَسَيَسْتَمِرُّ فِي الذَّهَابِ لِمَسَافَةٍ أَبْعَدَ وَأَبْعَدَ عَنْ عَمُودِ السِّيَاجِ الْقَدِيمِ ذَاكَ. وَلِذَا يَجِبُ أَنْ أَحْرِصَ عَلَى أَلَّا يَخَافَ داني فَأْرُ الْمُرُوجِ لِبِضْعَةِ أَيَّامٍ.» قَالَتْ ذَلِكَ بَيْنَمَا كَانَتْ تَرْقُدُ أَسْفَلَ شَجَرَةِ الشُّوكَرَانِ، وَهِيَ تَدْرُسُ أَفْضَلَ الطُّرُقِ لِكَيْفِيَّةِ حُصُولِهَا عَلَى الْوَجْبَةِ التَّالِيَةِ.

ثُمَّ نَادَتْ عَلَى الثَّعْلَبِ ريدي وَمَنَعَتْهُ مِنَ النُّزُولِ إِلَى الْمُرُوجِ إِلَى أَنْ تَأْذَنَ لَهُ بِالذَّهَابِ. وَتَذَمَّرَ ريدي وَأَخَذَ يُتَمْتِمُ وَلَمْ يَدْرِ لِمَ يَتَحَتَّمُ عَلَيْهِ عَدَمُ الذَّهَابِ حَيْثُ يَشَاءُ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَجْرُؤْ عَلَى الْعِصْيَانِ. فَكَمَا تَعْلَمُونَ أَنَّ ريدي لَدَيْهِ قَدَمٌ جَرِيحَةٌ، أَصَابَتْهَا أَسْنَانُ السِّلْكِ حِينَ كَانَ يَقْفِزُ فِي الْجَلِيدِ كَيْ يَلْحَقَ بِداني فَأْرِ الْمُرُوجِ، وَالْآنَ لَمْ يَعُدْ بِوُسْعِهِ سِوَى أَنْ يَعْدُوَ عَلَى ثَلَاثِ أَرْجُلٍ؛ مِمَّا يَعْنِي أَنَّهُ مُضْطَرٌّ إِلَى الاعْتِمَادِ عَلَى الْجَدَّةِ ثعلبة فِي مُسَاعَدَتِهِ لِلْحُصُولِ عَلَى مَا يَكْفِيهِ لِيَأْكُلَهُ. وَلِذَا لَمْ يَجْرُؤْ ريدي عَلَى الْعِصْيَانِ.

حَدَثَ كُلُّ شَيْءٍ بِالضَّبْطِ كَمَا ظَنَّتِ الْجَدَّةُ ثعلبة أَنَّهُ سَيَحْدُثُ: بِالْفِعْلِ شَعَرَ داني فَأْرُ الْمُرُوجِ بِالسَّأَمِ مِنَ الْمُكُوثِ دَاخِلَ عَمُودِ السِّيَاجِ الْقَدِيمِ، وَبِالْفِعْلِ تَلَصَّصَ فِي الْبِدَايَةِ، وَبَعْدَهَا جَرَى بِالْفِعْلِ لِمَسَافَةٍ صَغِيرَةٍ عَلَى الْجَلِيدِ، ثُمَّ لِمَسَافَةٍ أَبْعَدَ وَأَبْعَدَ. غَيْرَ أَنَّهُ ظَلَّ طَوَالَ الْوَقْتِ يَقِظًا لِلْغَايَةِ فَلَا يَبْتَعِدُ لِأَكْثَرَ مِنْ قَفْزَةٍ أَوْ قَفْزَتَيْنِ عَنْ إِحْدَى الْفَتَحَاتِ الدَّائِرِيَّةِ الصَّغِيرَةِ الْمُؤَدِّيَةِ إِلَى أَنْفَاقِهِ بِالْأَسْفَلِ تَحْتَ الْجَلِيدِ.

عَلَى أَطْرَافِ الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ اخْتَبَأَتِ الْجَدَّةُ ثعلبة وَرَاقَبَتْهُ. وَنَظَرَتْ عَالِيًا فِي السَّمَاءِ، وَعَلِمَتْ أَنَّ الثَّلْجَ سَوْفَ يَتَسَاقَطُ ثَانِيَةً. وَقَالَتِ الْجَدَّةُ: «هَذَا جَيِّدٌ، فِي صَبَاحِ الْغَدِ سَوْفَ أَتَنَاوَلُ فَأْرَ الْمُرُوجِ السَّمِينَ عَلَى الْإِفْطَارِ» وَابْتَسَمَتِ ابْتِسَامَةً مُتَعَطِّشَةً.

وَفِي الصَّبَاحِ التَّالِي، وَقَبْلَ أَنْ يَسْتَيْقِظَ قُرْصُ الشَّمْسِ الْأَحْمَرُ الْمُسْتَدِيرُ وَيُغَادِرَ فِرَاشَهُ، كَانَتِ الْجَدَّةُ ثعلبة الْعَجُوزُ تَهْبِطُ مُسْرِعَةً إِلَى دَاخِلِ الْمُرُوجِ وَتَتَّجِهُ مُبَاشَرَةً إِلَى مَكَانِ عَمُودِ السِّيَاجِ الْقَدِيمِ أَسْفَلَ الْجَلِيدِ. وَكَانَ الثَّلْجُ قَدْ تَسَاقَطَ مِنْ جَدِيدٍ، وَكَانَتْ جَمِيعُ الْفَتَحَاتِ الصَّغِيرَةِ الَّتِي صَنَعَهَا داني مُغَطَّاةً بِأَكْمَلِهَا بِطَبَقَةِ ثَلْجٍ رَقِيقَةٍ وَنَاعِمَةٍ. وَمِنْ خَلْفِ الْجَدَّةِ ثعلبة أَتَى ريدي الثَّعْلَبُ وَهُوَ يَعْرُجُ، وَيَتَذَمَّرُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ نَفْسِهِ.

وَحِينَ وَصَلَا إِلَى الْمَكَانِ حَيْثُ يُوجَدُ عَمُودُ السِّيَاجِ الْقَدِيمُ الْمَدْفُونُ تَحْتَ الثُّلُوجِ، انْبَطَحَتِ الْجَدَّةُ ثعلبة الْعَجُوزُ عَلَى الْأَرْضِ قَدْرَ اسْتِطَاعَتِهَا. ثُمَّ طَلَبَتْ مِنْ ريدي تَغْطِيَتَهَا كُلِّهَا بِالثَّلْجِ الرَّقِيقِ الَّذِي تَسَاقَطَ مُؤَخَّرًا. وَفَعَلَ ريدي مَا طُلِبَ مِنْهُ، وَلَكِنَّهُ ظَلَّ يَتَذَمَّرُ طَوَالَ الْوَقْتِ. وَقَالَتِ الْجَدَّةُ ثعلبة: «وَالْآنَ اذْهَبْ إِلَى الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ وَابْقَ مُتَوَارِيًا عَنِ الْأَنْظَارِ، وَقَرِيبًا سَوْفَ أُحْضِرُ لَكَ جُزْءًا مِنْ فَأْرِ الْمُرُوجِ لِتُفْطِرَ بِهِ» وَضَحِكَتِ الْجَدَّةُ ثعلبة ضِحْكَةً خَافِتَةً عِنْدَ تَفْكِيرِهَا فِي مَدَى بَرَاعَتِهَا وَكَيْفَ أَنَّهَا سَوْفَ تُمْسِكُ بِداني فَأْرِ الْمُرُوجِ.

الفصل الثامن

الرِّيَاحُ الشَّمَالِيَّةُ تُظْهِرُ صَدَاقَتَهَا

لَمْ يَرَ داني فَأْرُ الْمُرُوجِ أَيَّ أَثَرٍ لِلْجَدَّةِ ثعلبة الْعَجُوزِ أَوِ الثَّعْلَبِ ريدي عَلَى مَدَى عِدَّةِ أَيَّامٍ. وَفِي بِدَايَةِ كُلِّ صَبَاحٍ — حَتَّى قَبْلَ أَنْ يَتَنَاوَلَ إِفْطَارَهُ — كَانَ يَتَسَلَّقُ إِحْدَى الْفَتَحَاتِ الدَّائِرِيَّةِ الصَّغِيرَةِ وَيَتَلَصَّصُ عَلَى الْمَدَى فِي الْمُرُوجِ الْبَيْضَاءِ الْجَمِيلَةِ كَيْ يَرَى إِذَا كَانَ هُنَاكَ أَيُّ خَطَرٍ فِي الْجِوَارِ. وَلَكِنَّهُ فِي كُلِّ مَرَّةٍ يَفْعَلُ ذَلِكَ، يَسْتَخْدِمُ داني فَتْحَةً مُخْتَلِفَةً. وَقَالَ داني لِنَفْسِهِ: «فِي حَالِ إِذَا تَصَادَفَ لِأَيِّ أَحَدٍ — فَقَطْ تَصَادَفَ — وَرَآنِي هَذَا الصَّبَاحَ، فَرُبَّمَا يَنْتَظِرُنِي بِالْخَارِجِ عِنْدَ الْفَتْحَةِ الَّتِي تَطَلَّعْتُ مِنْهَا بِالضَّبْطِ كَيْ يُمْسِكَ بِي فِي صَبَاحِ الْغَدِ.» أَتُرَى، هُنَاكَ قَدْرٌ كَبِيرٌ مِنَ الْحِكْمَةِ فِي ذَاكَ الرَّأْسِ الصَّغِيرِ؛ رَأْسِ داني فَأْرِ الْمُرُوجِ؟!

غَيْرَ أَنَّهُ فِي الْيَوْمِ الْأَوَّلِ وَالثَّانِي وَالثَّالِثِ لَمْ يَرَ أَيَّ أَثَرٍ لِلْجَدَّةِ ثعلبة الْعَجُوزِ أَوْ لِلثَّعْلَبِ ريدي، وَبَدَأَ يَسْتَمْتِعُ بِالرَّكْضِ عَبْرَ أَنْفَاقِهِ تَحْتَ الْجَلِيدِ وَيَقْفِزُ عَبْرَ الْفَتَحَاتِ مِنْ فَتْحَةٍ إِلَى أُخْرَى فَوْقَ الْجَلِيدِ، تَمَامًا كَمَا كَانَ يَفْعَلُ قَبْلَ أَنْ تُحَاوِلَ الْجَدَّةُ ثعلبة وَالثَّعْلَبُ ريدي بِاسْتِمَاتَةٍ الْإِمْسَاكَ بِهِ. وَلَكِنَّ داني لَمْ يَنْسَ، بَيْنَمَا تَمَنَّتِ الْجَدَّةُ ثعلبة أَنْ يَفْعَلَ. كَلَّا، الْحَقِيقَةُ أَنَّ داني فَأْرَ الْمُرُوجِ لَمْ يَنْسَ. فَهُوَ أَحْكَمُ بِكَثِيرٍ مِنْ أَنْ يَنْسَى.

وَذَاتَ صَبَاحٍ، حِينَ بَدَأَ يَتَسَلَّقُ إِحْدَى فَتَحَاتِهِ الصَّغِيرَةِ، وَجَدَ أَنَّ الْفَتْحَةَ مُنْسَدَّةٌ. بِالْفِعْلِ، كَانَتْ مُنْسَدَّةً. بَلْ فِي الْحَقِيقَةِ لَمْ تَكُنْ هُنَاكَ أَيَّةُ فَتَحَاتٍ. فَقَدْ أَسْقَطَتِ السُّحُبُ الْمَزِيدَ مِنَ الثُّلُوجِ فِي الْمَسَاءِ وَغَطَّتْ بِالْكَامِلِ جَمِيعَ الْفَتَحَاتِ الدَّائِرِيَّةِ الصَّغِيرَةِ الَّتِي صَنَعَهَا داني فَأْرُ الْمُرُوجِ.

قَالَ داني: «يَاهْ! سَوْفَ يَكُونُ يَوْمِي مُزْدَحِمًا بِالْعَمَلِ، بَلْ شَدِيدَ الازْدِحَامِ بِالْعَمَلِ، عَلَيَّ أَنْ أُخْلِيَ جَمِيعَ الْفَتَحَاتِ مِنَ الثُّلُوجِ. إِذَنْ سَوْفَ أَتَنَاوَلُ فَطُورِي، ثُمَّ أَبْدَأُ فِي الْعَمَلِ.»

وَهَكَذَا تَنَاوَلَ داني إِفْطَارًا مُشْبِعًا مِنْ بُذُورٍ كَانَ قَدْ خَزَّنَهَا فِي تَجْوِيفِ عَمُودِ السِّيَاجِ الْقَدِيمِ الْمَدْفُونِ تَحْتَ الثُّلُوجِ، ثُمَّ بَدَأَ يَعْمَلُ عِنْدَ أَقْرَبِ فَتْحَةٍ. وَلَمْ يَكُنْ هَذَا فِي الْحَقِيقَةِ عَمَلًا شَاقًّا عَلَى الْإِطْلَاقِ، فَيُمْكِنُكَ أَنْ تَرَى أَنَّ الثَّلْجَ كَانَ رَقِيقًا وَخَفِيفًا، كَمَا كَانَ داني يَهْوَى كَثِيرًا الْحَفْرَ فِي الثَّلْجِ. وَفِي غُضُونِ بِضْعِ دَقَائِقَ صَنَعَ فَتْحَةً صَغِيرَةً يَسْتَطِيعُ مِنْ خِلَالِهَا النَّظَرَ إِلَى قُرْصِ الشَّمْسِ، وَبَعْدَ بِضْعِ دَقَائِقَ أُخْرَى جَعَلَ الْفَتْحَةَ كَبِيرَةً بِمَا يَكْفِي كَيْ يُخْرِجَ رَأْسَهُ مِنْ خِلَالِهَا. وَنَظَرَ فِي هَذَا الاتِّجَاهِ وَذَاكَ. وَعَلَى مَدًى بَعِيدٍ، بَعِيدٍ جِدًّا عِنْدَ قِمَّةِ شَجَرَةٍ اسْتَطَاعَ رُؤْيَةَ الصَّقْرِ الْعَجُوزِ مريش الساقين، غَيْرَ أَنَّهُ كَانَ بَعِيدًا جِدًّا، حَتَّى إِنَّ داني لَمْ يَخَفْ مِنْهُ عَلَى الْإِطْلَاقِ.

أَطَلَّ داني بِرَأْسِهِ أَكْثَرَ، وَقَالَ: «أَنَا لَا أَرَى هُنَا أَيَّ شَيْءٍ أَوْ أَيَّ شَخْصٍ يَسْتَدْعِي خَوْفِي.»

ثُمَّ جَلَسَ وَتَأَمَّلَ الْمَوْقِفَ مِنْ حَوْلِهِ لِوَقْتٍ طَوِيلٍ جِدًّا. وَكَانَتِ الْمُرُوجُ جَمِيلَةً وَهِيَ مَكْسُوَّةٌ بِالْبَيَاضِ، بَلْ غَايَةً فِي الْجَمَالِ. وَكُلُّ شَيْءٍ يَبْدُو غَايَةً فِي الْبَيَاضِ وَالنَّقَاءِ وَالْجَمَالِ، حَتَّى إِنَّهُ بَدَا أَنَّ إِلْحَاقَ الضَّرَرِ بِأَيِّ مَخْلُوقٍ أَوْ وُجُودَ خَطَرٍ عَلَيْهِ أَمْرٌ بَعِيدُ الاحْتِمَالِ. وَلَكِنَّ داني فَأْرَ الْمُرُوجِ تَعَلَّمَ مُنْذُ زَمَنٍ بَعِيدٍ أَنَّ الْأُمُورَ لَيْسَتْ دَائِمًا كَمَا تَبْدُو؛ وَلِذَا جَلَسَ وَلَمْ يَظْهَرْ مِنْهُ سِوَى رَأْسِهِ الصَّغِيرِ عَبْرَ الْفَتْحَةِ، وَأَخَذَ يَدْرُسُ وَيَدْرُسُ الْمَوْقِفَ. إِلَّا أَنَّ هُنَاكَ كَوْمَةً صَغِيرَةً مِنَ الثُّلُوجِ بَدَتْ غَرِيبَةً بَعْضَ الشَّيْءِ.

قَالَ داني: «أَنَا لَا أَذْكُرُ وُجُودَ تِلْكَ الْكَوْمَةِ، وَلَا أَذْكُرُ وُجُودَ أَيِّ شَيْءٍ قَدْ يَتَسَبَّبُ فِي عَمَلِ تِلْكَ الْكَوْمَةِ؛ فَلَيْسَ هُنَاكَ أَيَّةُ شُجَيْرَةٍ أَوْ جِذْعٌ قَدِيمٌ أَوْ أَيُّ شَيْءٍ تَحْتَ الْكَوْمَةِ. وَلَعَلَّهَا الرِّيَاحُ الشَّمَالِيَّةُ الْعَنِيفَةُ كَوَّنَتْ تِلْكَ الْكَوْمَةَ عَلَى سَبِيلِ التَّسْلِيَةِ وَحَسْبُ.»

لَكِنَّ داني فَأْرَ الْمُرُوجِ ظَلَّ طَوَالَ الْوَقْتِ يَتَأَمَّلُ تِلْكَ الْكَوْمَةَ الصَّغِيرَةَ مِنَ الثَّلْجِ. وَعِنْدَمَا رَأَى الرِّيَاحَ الشَّمَالِيَّةَ الْعَنِيفَةَ بَعْدَ ذَلِكَ بِوَقْتٍ وَجِيزٍ وَهِيَ تَأْتِي بِاتِّجَاهِهِ وَتَتَقَاذَفُ الثُّلُوجَ فِي طَرِيقِهَا. وَأَخَذَتْ حَفْنَةً مِنْ قِمَّةِ كَوْمَةِ الثَّلْجِ الصَّغِيرَةِ الَّتِي كَانَ داني يَتَأَمَّلُهَا، وَحِينَ مَرَّتِ الرِّيَاحُ، رَأَى داني بِعَيْنَيْهِ الْحَادَّتَيْنِ شَيْئًا مَا أَحْمَرَ اللَّوْنِ. وَلَمْ يَكُنْ هَذَا سِوَى لَوْنِ الْعَبَاءَةِ الَّتِي تَرْتَدِيهَا الْجَدَّةُ ثعلبة الْعَجُوزُ.

أَيَّتُهَا الْجَدَّةُ ثعلبة لَا يُمْكِنُ أَنْ تَخْدَعِينِي!
فَعَيْنِي حَادَّةٌ وَأَرَاكِ بِكُلِّ يَقِينٍ!

صَاحَ بِذَلِكَ داني فَأْرُ الْمُرُوجِ وَغَاصَ فِي الثُّلُوجِ بَعِيدًا عَنِ الْأَنْظَارِ، بَيْنَمَا نَفَضَتِ الْجَدَّةُ ثعلبة الْعَجُوزُ الثَّلْجَ عَنْ عَبَاءَتِهَا الْحَمْرَاءِ، وَاتَّجَهَتْ بِبُطْءٍ — وَهِيَ تُزَمْجِرُ فِي إِحْبَاطٍ وَغَضَبٍ — إِلَى الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ، حَيْثُ يَنْتَظِرُهَا ريدي الثَّعْلَبُ.

الفصل التاسع

الْإِمْسَاكُ بِداني فَأْرِ الْمُرُوجِ أَخِيرًا

تِيرَا تَارَا تَارَا،
أَلْعَبُ وَأَمْرَحُ فِي الْجَلِيدِ!
الْآنَ تَرَانِي! الْآنَ لَا تَرَانِي!
تَظُنُّ أَنَّكَ سَتُمْسِكُ بِي؟! لَنْ تُمْسِكَنِي!
تِيرَا تَارَا تَارَا،
كَمْ هُوَ مُمْتِعٌ اللَّعِبُ فِي الْجَلِيدِ!

تَغَنَّى بِذَلِكَ داني فَأْرُ الْمُرُوجِ، أَوْ عَلَى الْأَقَلِّ حَاوَلَ أَنْ يُغَنِّيَهَا بَيْنَمَا تَقَافَزَ فَوْقَ الْجَلِيدِ الَّذِي يُغَطِّي الْمُرُوجَ الْخَضْرَاءَ، غَيْرَ أَنَّ داني فَأْرَ الْمُرُوجِ كَانَ لَهُ صَوْتٌ ضَعِيفٌ، صَوْتٌ حَادٌّ ضَعِيفٌ وَغَرِيبٌ، فَإِذَا سَمِعْتَهُ، فَإِنَّكَ عَلَى الْأَرْجَحِ لَنْ تَظُنَّ أَبَدًا أَنَّهُ كَانَ يُغَنِّي، فِي حِينِ ظَنَّ هُوَ أَنَّهُ كَانَ يُغَنِّي بَلْ وَيَسْتَمْتِعُ بِغِنَائِهِ تَمَامًا كَمَا لَوْ كَانَ يَمْتَلِكُ أَحْلَى صَوْتٍ فِي الدُّنْيَا. فَكَمَا تَعْلَمُونَ أَنَّ الْغِنَاءَ مَا هُوَ إِلَّا سَعَادَةٌ فِي الْقَلْبِ تَغْدُو مَسْمُوعَةً.

أَجَلْ؛ بِالتَّأْكِيدِ كَانَ داني فَأْرُ الْمُرُوجِ سَعِيدًا! وَلِمَ لَا يَكُونُ سَعِيدًا؟! أَلَمْ يُثْبِتْ أَنَّهُ أَذْكَى مِنَ الْجَدَّةِ ثعلبة الْعَجُوزِ؟ وَهَذَا كَفِيلٌ بِإِسْعَادِ أَيِّ أَحَدٍ؛ فَالْبَعْضُ قَدْ يَخْدَعُ الْجَدَّةَ ثعلبة مَرَّةً، وَالْبَعْضُ قَدْ يَخْدَعُهَا مَرَّتَيْنِ، لَكِنَّ قِلَّةً قَلِيلَةً تَمَكَّنَتْ مِنَ الِاسْتِمْرَارِ فِي خِدَاعِ الْجَدَّةِ إِلَى أَنِ اسْتَسْلَمَتْ بِاشْمِئْزَازٍ. وَهَذَا بِالضَّبْطِ مَا فَعَلَهُ داني فَأْرُ الْمُرُوجِ، فَأَدْرَكَ ذَكَاءَهُ الْحَادَّ؛ وَبِالطَّبْعِ أَحَسَّ بِالْفَرْحَةِ الْغَامِرَةِ.

وَهَكَذَا تَغَنَّى داني بِأُغْنِيَتِهِ الْقَصِيرَةِ، وَتَقَافَزَ فِي ضَوْءِ الْقَمَرِ، وَتَحَرَّكَ بِمُرَاوَغَةٍ دَاخِلًا وَخَارِجًا مِنْ فَتَحَاتِهِ الدَّائِرِيَّةِ الصَّغِيرَةِ، وَظَلَّ طَوَالَ الْوَقْتِ فَاتِحًا عَيْنَيْهِ الصَّغِيرَتَيْنِ الْحَادَّتَيْنِ لِالْتِقَاطِ أَيِّ أَثَرٍ لِلْجَدَّةِ ثعلبة أَوِ الثَّعْلَبِ ريدي. لَكِنْ مَعَ كُلِّ ذَكَائِهِ، نَسِيَ داني شَيْئًا. أَجَلْ يَا سَيِّدِي، نَسِيَ داني شَيْئًا وَاحِدًا، نَسِيَ أَنْ يُرَاقِبَ السَّمَاءَ. فَهُوَ يَعْلَمُ بِلَا شَكٍّ أَنَّ الصَّقْرَ الْعَجُوزَ مريش الساقين نَائِمٌ؛ لِذَا فَقَدْ أَمِنَ جَانِبَهُ. وَلَكِنْ لَمْ يُفَكِّرْ قَطُّ فِي الْبُومَةِ هوتي.

وَا أَسَفَاهُ! وَا أَسَفَاهُ! النِّسْيَانُ عَادَةٌ مُرِيعَةٌ، وَلَوْ لَمْ يَنْسَ أَيُّ مَخْلُوقٍ شَيْئًا، لَكَادَتِ الدُّنْيَا أَنْ تَخْلُوَ مِنَ الْكَثِيرِ مِنْ مَشَاكِلِهَا. أَجَلْ فِي الْحَقِيقَةِ، لَكَادَتْ أَنْ تَنْتَهِيَ الْكَثِيرُ مِنَ الْمَشَاكِلِ. وَداني فَأْرُ الْمُرُوجِ نَسِيَ؛ فَقَفَزَ وَغَنَّى، وَكَانَ فِي مُنْتَهَى السَّعَادَةِ، وَلَمْ يُفَكِّرْ قَطُّ فِي أَنْ يُرَاقِبَ السَّمَاءَ.

هُنَاكَ فِي الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ كَانَ حَظُّ الْبُومَةِ هوتي مِنَ الصَّيْدِ قَلِيلٌ، وَكَانَتْ تَشْعُرُ بِالْإِحْبَاطِ. فَكَمَا تَرَوْنَ، كَانَتْ هوتي جَائِعَةً، وَالْجُوعُ يَجْعَلُ الْفَرْدَ يَمِيلُ إِلَى الشُّعُورِ بِالْإِحْبَاطِ، وَكُلَّمَا طَالَ بَحْثُهَا عَنِ الصَّيْدِ، ازْدَادَ جُوعُهَا وَإِحْبَاطُهَا. وَفَجْأَةً خَطَرَ بِبَالِهَا داني فَأْرُ الْمُرُوجِ.

تَذَمَّرَتْ هوتي قَائِلَةً: «أَتَصَوَّرُ أَنَّهُ نَائِمٌ فِي مَكَانٍ مَا آمِنًا وَمُسْتَكِنًّا تَحْتَ الثَّلْجِ، لَكِنَّهُ رُبَّمَا — فَقَطْ رُبَّمَا — يَكُونُ فِي الْخَارِجِ لِيَمْرَحَ فِي ضَوْءِ الْقَمَرِ. أَظُنُّ أَنَّنِي سَأَهْبِطُ إِلَى الْمُرُوجِ وَأَرَى.»

وَهَكَذَا وَمَعَ قُدْرَةِ الْبُومَةِ هوتي عَلَى الطَّيَرَانِ دُونَ إِصْدَارِ أَدْنَى صَوْتٍ عَلَى الْإِطْلَاقِ، بَدَتْ كَمَا لَوْ كَانَتْ تَنْسَابُ فِي الْهَوَاءِ كَظِلٍّ كَبِيرٍ. وَبَسَطَتْ جَنَاحَيْهَا الْعَظِيمَيْنِ وَحَلَّقَتْ فَوْقَ الْمُرُوجِ. وَكَمَا تَعْلَمُونَ تَسْتَطِيعُ هوتي أَنْ تَرَى فِي اللَّيْلِ مِثْلَمَا تَرَى مُعْظَمُ الْمَخْلُوقَاتِ فِي النَّهَارِ، وَلَمْ يَمْضِ وَقْتٌ طَوِيلٌ حَتَّى رَأَتْ داني فَأْرَ الْمُرُوجِ يَتَقَافَزُ فَوْقَ الْجَلِيدِ وَيَتَحَرَّكُ فِي مُرَاوَغَةٍ إِلَى دَاخِلِ وَخَارِجِ الْفَتَحَاتِ الدَّائِرِيَّةِ الصَّغِيرَةِ. لَمَعَتْ عَيْنَا هوتي الْكَبِيرَتَانِ فِي شَرَاسَةٍ. وَبِلَا أَدْنَى صَوْتٍ طَارَتْ فِي ضَوْءِ الْقَمَرِ حَتَّى أَصْبَحَتْ فَوْقَ داني فَأْرِ الْمُرُوجِ مُبَاشَرَةً.

نَظَرَ داني إِلَى أَعْلَى لَكِنْ بَعْدَ فَوَاتِ الْأَوَانِ، وَانْتَهَتْ أُغْنِيَتُهُ الْقَصِيرَةُ بِصَرْخَةِ خَوْفٍ حَادَّةٍ، وَاتَّجَهَ إِلَى أَقْرَبِ فَتْحَةٍ دَائِرِيَّةٍ صَغِيرَةٍ، لَكِنَّ الْبُومَةَ هوتي بَسَطَتْ مَخَالِبَهَا الطَّوِيلَةَ الْمُدَبَّبَةَ نَحْوَهُ ... وَهَكَذَا أَمْسَكَتْ بِداني فَأْرِ الْمُرُوجِ فِي النِّهَايَةِ!

الفصل العاشر

رِحْلَةٌ عَجِيبَةٌ

عَادَةً مَا كَانَ داني فَأْرُ الْمُرُوجِ يَجْلِسُ لِيَرْقُبَ طَائِرَ النَّوْرَسِ سكيمر وَهُوَ يَجُوبُ الْأُفُقَ فِي السَّمَاءِ الزَّرْقَاءِ، وَكَانَ يُرَاقِبُ الصَّقْرَ الْعَجُوزَ حوام وَهُوَ يَرْتَفِعُ إِلَى أَعْلَى وَأَعْلَى حَتَّى يَغْدُوَ نُقْطَةً صَغِيرَةً، وَتَسَاءَلَ داني كَيْفَ يَبْدُو الْأَمْرُ حِينَ تَكُونُ عَالِيًا فَوْقَ الْمُرُوجِ الْخَضْرَاءِ وَالْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ وَتَنْظُرُ إِلَى الْأَسْفَلِ. وَبَدَا لَهُ أَنَّ الْأَمْرَ بِالتَّأْكِيدِ غَايَةٌ فِي الرَّوْعَةِ وَالْجَمَالِ. وَفِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ كَانَ يَتَمَنَّى أَنْ تَغْدُوَ لَهُ أَجْنِحَةٌ وَيَرْتَفِعَ فِي السَّمَاءِ وَيَنْظُرَ إِلَى الْأَسْفَلِ. وَالْآنَ هَا هُوَ ذَا ... داني فَأْرُ الْمُرُوجِ، يَرْتَفِعُ فِي السَّمَاءِ بِالْفِعْلِ!

إِلَّا أَنَّ داني لَمْ يَقْدِرْ عَلَى رُؤْيَةِ أَيِّ شَيْءٍ رَائِعًا أَوْ جَمِيلًا حِينَئِذٍ. كَلَّا؛ لَمْ يَقْدِرْ فِي الْحَقِيقَةِ! فَكُلُّ شَيْءٍ كَانَ مُرِيعًا، فَكَمَا تَرَوْنَ، كَانَ داني فَأْرُ الْمُرُوجِ لَا يَطِيرُ طَوَاعِيَةً، بَلْ كَانَ مَحْمُولًا. بِالْفِعْلِ، كَانَ داني مَحْمُولًا عَبْرَ السَّمَاءِ فِي قَبْضَةِ هوتي الْبُومَةِ بِمَخَالِبِهَا الْمُدَبَّبَةِ! وَكُلُّ هَذَا لِأَنَّ داني قَدْ نَسِيَ ... نَسِيَ أَنْ يُرَاقِبَ السَّمَاءَ كَيْ يَحْتَرِسَ مِنَ الْخَطَرِ.

مِسْكِينٌ داني فَأْرُ الْمُرُوجِ! فَمَخَالِبُ هوتي الْمُدَبَّبَةُ الْكَبِيرَةُ آلَمَتْهُ بِشِدَّةٍ! إِلَّا أَنَّ الْأَلَمَ لَمْ يَكُنْ هُوَ أَسْوَأَ شَيْءٍ. كَلَّا فِي الْحَقِيقَةِ! لَمْ يَكُنِ الْأَلَمُ! بَلْ كَانَ التَّفْكِيرُ فِيمَا سَوْفَ يَحْدُثُ حِينَ تَصِلُ هوتي إِلَى بَيْتِهَا فِي الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ؛ فَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ هوتي عِنْدَئِذٍ سَتَلْتَهِمُهُ بِعِظَامِهِ بِكُلِّ شَيْءٍ. وَبَيْنَمَا كَانَتْ تُحَلِّقُ، ظَلَّتْ هوتي تُطْلِقُ ضَحِكَاتٍ خَافِتَةً، وَعَلِمَ داني فَأْرُ الْمُرُوجِ بِالضَّبْطِ مَا الَّذِي كَانَتْ تَعْنِيهِ تِلْكَ الضَّحِكَاتُ الْخَافِتَةُ؛ تَعْنِي أَنَّ هوتي كَانَتْ تُفَكِّرُ فِي الْوَجْبَةِ الدَّسِمَةِ الَّتِي سَوْفَ تَتَنَاوَلُهَا.

وَهُنَاكَ تَدَلَّى داني مِنْ مَخَالِبِ هوتي الْمُدَبَّبَةِ الضَّخْمَةِ، وَنَظَرَ لِأَسْفَلَ حَيْثُ الْمُرُوجُ الْخَضْرَاءُ الْمَكْسُوَّةُ بِالْجَلِيدِ الَّتِي أَحَبَّهَا كَثِيرًا. وَكَانَتْ تَبْدُو عَلَى مَسَافَةٍ بَعِيدَةٍ أَسْفَلَ مِنْهُ عَلَى نَحْوٍ مُرْعِبٍ، رَغْمَ أَنَّهَا فِي الْحَقِيقَةِ لَمْ تَكُنْ بَعِيدَةً عَلَى الإِطْلَاقِ؛ لِأَنَّ هوتي كَانَتْ تُحَلِّقُ عَلَى ارْتِفَاعٍ بَسِيطٍ لِلْغَايَةِ. غَيْرَ أَنَّ داني فَأْرَ الْمُرُوجِ لَمْ يَكُنْ قَطُّ فِي حَيَاتِهِ كُلِّهَا عَلَى هَذَا الْقَدْرِ مِنَ الْعُلُوِّ مِنْ قَبْلُ؛ وَلِذَا بَدَا لَهُ أَنَّهُ كَانَ عَالِيًا جِدًّا فِي السَّمَاءِ، وَأَغْلَقَ عَيْنَيْهِ كَيْ لَا يَرَى الارْتِفَاعَ. لَكِنَّهُ لَمْ يَحْتَمِلْ أَنْ يُبْقِيَهُمَا مُغْلَقَتَيْنِ. كَلَّا؛ لَمْ يَحْتَمِلْ أَنْ يُبْقِيَهُمَا مُغْلَقَتَيْنِ! وَلَمْ يَسَعْهُ سِوَى أَنْ يُدَاوِمَ عَلَى فَتْحِهِمَا. وَهَا هِيَ الْغَابَةُ الْخَضْرَاءُ الْقَدِيمَةُ الْمُحَبَّبَةُ إِلَيْهِ تَقْتَرِبُ أَكْثَرَ وَأَكْثَرَ، وَكَانَتْ تَبْدُو دَائِمًا شَدِيدَةَ الْجَمَالِ فِي عَيْنَيْ داني، لَكِنَّهَا الْآنَ تَبْدُو مُرِيعَةً، بَلْ أَكْثَرَ مِنْ مُرِيعَةٍ فِي الْحَقِيقَةِ، وَالسَّبَبُ أَنَّ فِي ذَاكَ الْمَكَانِ يَقَعُ بَيْتُ هوتي الْبُومَةِ، مُتَوَارِيًا فِي بُقْعَةٍ مُظْلِمَةٍ.

رَأَى أَمَامَهُ بِالضَّبْطِ الدَّغَلَ الْعَزِيزَ، حَيْثُ يَنْعَمُ الْأَرْنَبُ بيتر بِالْأَمَانِ التَّامِّ. كَسَا الْجَلِيدُ جَمِيعَ ثَمَرَاتِ الْعُلَّيْقِ الْقَدِيمِ الَّذِي بَدَا غَايَةً فِي الْجَمَالِ. وَبِالْفِعْلِ كَانَ كُلُّ شَيْءٍ فِي أَبْهَى صُورَةٍ: ضَوْءُ الْقَمَرِ، الْغَابَةُ الْخَضْرَاءُ، الْمُرُوجُ الْخَضْرَاءُ الْمَكْسُوَّةُ بِالْجَلِيدِ، الدَّغَلُ الْعَزِيزُ. وَكَانَ الِاخْتِلَافُ الْوَحِيدُ يَكْمُنُ فِي وَضْعِ داني فَأْرِ الْمُرُوجِ نَفْسِهِ؛ وَكُلُّ هَذَا لِأَنَّهُ نَسِيَ مُرَاقَبَةَ السَّمَاءِ.

وَفَجْأَةً بَدَأَ داني يَتَلَوَّى وَيَتَمَلَّصُ، وَصَاحَتْ هوتي الْبُومَةُ بِغَضَبٍ: «تَوَقَّفْ عَنِ الْحِرَاكِ!»

لَكِنَّ داني لَمْ يَسَعْهُ إِلَّا أَنْ يُقَاوِمَ بِأَقْصَى طَاقَتِهِ؛ حَيْثُ بَدَا لَهُ أَنَّ هوتي لَمْ تَعُدْ تُحْكِمُ قَبْضَتَهَا عَلَيْهِ كَمَا كَانَتْ فِي الْبِدَايَةِ، فَقَدْ شَعَرَ بِأَحَدِ مَخَالِبِ هوتي يَنْزَلِقُ، وَمَزَّقَ مِعْطَفَهُ وَآذَاهُ بِشِدَّةٍ، لَكِنَّهُ انْزَلَقَ! الْحَقِيقَةُ أَنَّ هوتي كَانَتْ تُمْسِكُ بِداني فَأْرِ الْمُرُوجِ فَقَطْ مِنَ الْجُزْءِ الْمُهْتَرِئِ فِي مِعْطَفِهِ، وَهُنَاكَ بِالْأَعْلَى فِي السَّمَاءِ لَمْ تَسْتَطِعْ هوتي الْإِمْسَاكَ بِداني عَلَى نَحْوٍ أَفْضَلَ؛ فَداني كَانَ يَرْفُسُ وَيَتَلَوَّى وَيَنْثَنِي مِرَارًا وَتَكْرَارًا، وَشَعَرَ بِمِعْطَفِهِ يَتَمَزَّقُ وَبِالطَّبْعِ جِلْدُهُ أَيْضًا، لَكِنَّهُ وَاصَلَ حِرَاكَهُ، وَأَصْبَحَ الْآنَ يَتَدَلَّى فِي شِبْهِ حُرِّيَّةٍ. أَخَذَتْ هوتي تُحَلِّقُ عَلَى ارْتِفَاعٍ مُنْخَفِضٍ فِي ذَاكَ الْوَقْتِ كَيْ تُحْكِمَ قَبْضَتَهَا عَلَيْهِ عَلَى نَحْوٍ أَفْضَلَ. فَرَفَسَ داني بِرِجْلَيْهِ مَرَّةً أُخْرَى وَبَعْدَهَا ... وَجَدَ نَفْسَهُ يَسْقُطُ!

أَغْلَقَ داني فَأْرُ الْمُرُوجِ عَيْنَيْهِ وَحَبَسَ أَنْفَاسَهُ، بَيْنَمَا رَاحَ يَسْقُطُ وَيَسْقُطُ إِلَى أَسْفَلَ، حَتَّى بَدَا لَهُ أَنَّهُ لَنْ يَصْطَدِمَ أَبَدًا بِالْمُرُوجِ الْمَكْسُوَّةِ بِالْجَلِيدِ! مَعَ أَنَّهُ فِي الْوَاقِعِ سَقَطَ فَقَطْ مِنَ ارْتِفَاعٍ بَسِيطٍ لِلْغَايَةِ. لَكِنَّهُ بَدَا لِداني كَارْتِفَاعٍ مُفْزِعٍ. وَارْتَطَمَ بِشَيْءٍ مَا أَصَابَهُ بِجُرْحٍ، وَبَعْدَهَا ... دُومْ! سَقَطَ وَسْطَ الثُّلُوجِ النَّاعِمَةِ أَعْلَى الدَّغَلِ الْعَزِيزِ بِالضَّبْطِ، وَكَانَ آخِرُ مَا تَذَكَّرَهُ هُوَ سَمَاعَهُ لِصَرْخَةِ هوتي الْبُومَةِ الْمَلِيئَةِ بِالْإِحْبَاطِ وَالْغَضَبِ.

الفصل الحادي عشر

الْأَرْنَبُ بيتر يُصَابُ بِالْفَزَعِ

كَانَ الْأَرْنَبُ بيتر يَجْلِسُ فِي مَكَانِهِ الْمُفَضَّلِ فِي الدَّغَلِ الْعَزِيزِ الْمُحَبَّبِ إِلَيْهِ، وَيُحَاوِلُ أَنْ يُقَرِّرَ أَيَّ الطُّرُقِ يَسْلُكُهُ فِي رِحَلَاتِهِ هَذَا الْمَسَاءَ. فَفِي اللَّيْلَةِ السَّابِقَةِ كَانَ قَدْ نَجَا بِالْكَادِ مِنَ الْجَدَّةِ ثعلبة الْعَجُوزِ هُنَاكَ عِنْدَ الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ. وَلَمْ يَكُنْ هُنَاكَ مَا يُؤْكَلُ عِنْدَ الْبِرْكَةِ الْبَاسِمَةِ وَلَمْ يَعُدْ هُنَاكَ أَيُّ أَحَدٍ كَيْ يَتَحَدَّثَ مَعَهُ، وَأَنْتَ تَعْرِفُ أَنَّ بيتر عَلَيْهِ إِمَّا أَنْ يَأْكُلَ أَوْ يَطْرَحَ الْأَسْئِلَةَ حَتَّى يَكُونَ سَعِيدًا قَرِيرَ الْعَيْنِ. لَكِنْ لَا؛ فَالْبِرْكَةُ الْبَاسِمَةُ كَانَتْ مَكَانًا أَكْثَرَ ضَجَرًا مِنْ أَنْ يَجْتَذِبَ بيتر فِي مِثْلِ تِلْكَ اللَّيْلَةِ الْمُقْمِرَةِ الْجَمِيلَةِ، كَمَا أَنَّ بيتر لَا يُفَكِّرُ فِي مُوَاجَهَةِ الْجَدَّةِ ثعلبة الْعَجُوزِ مَرَّةً ثَانِيَةً فِي الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ.

وَفِي وَقْتٍ مُبَكِّرٍ هَذَا الصَّبَاحَ، وَبَعْدَ أَنِ اسْتَقَرَّ بيتر لِتَوِّهِ كَيْ يَأْخُذَ قَيْلُولَتَهُ الصَّبَاحِيَّةَ، هَبَطَ تومي عُصْفُورُ الْقُرْقُفِ فَوْقَ الدَّغَلِ الْعَزِيزِ فَقَطْ مِنْ بَابِ التَّوَدُّدِ إِلَى بيتر. وَكَانَ بيتر قَدْ غَفَا لِتَوِّهِ حِينَ سَمِعَ صَاحِبَ الصَّوْتِ الضَّئِيلِ الْأَكْثَرِ مَرَحًا فِي الْعَالَمِ يَتَغَنَّى:

دِي دِي تِرَارَا ... دِي تِرَارِي!
يُمْكِنُنِي أَنْ أَرَاكَ! هَلْ تَرَانِي؟

وَبَدَأَ بيتر يَبْتَسِمُ قَبْلَ أَنْ يَفْتَحَ عَيْنَيْهِ وَيَنْظُرَ لِأَعْلَى. وَهُنَاكَ فَوْقَ رَأْسِهِ تَمَامًا، كَانَ تومي يُدْلِي بِرَأْسِهِ لِلْأَسْفَلِ مِنْ أَعْلَى عُنْقُودٍ قَدِيمٍ مِنْ ثِمَارِ الْعُلَّيْقِ. وَفِي لَمْحِ الْبَصَرِ هَبَطَ تومي

فَوْقَ الثَّلْجِ أَمَامَ بيتر مُبَاشَرَةً، ثُمَّ حَطَّ عَالِيًا فَوْقَ عُنْقُودِ الْعُلَّيْقِ مَرَّةً أُخْرَى، ثُمَّ رَاحَ يَتَقَلَّبُ فِي الْهَوَاءِ هُنَا وَهُنَاكَ، بِلَا تَوَقُّفٍ، وَيُغَرِّدُ طَوَالَ الْوَقْتِ بِصَوْتِهِ الضَّئِيلِ الْمَرِحِ:

تِيرَا تَاتْ تِيرَا تُورْ!
أَنَا فَرْحَانٌ أَنَا مَسْرُورْ!
حَاوِلْ دُونَ أَنْ تَكُونَ مَلُولًا
لِتَبْقَى فِي سَعَادَةٍ وَفِي حُبُورْ،
تِيرَا تَاتْ تِيرَا تُورْ!
الْكُلُّ يُحِبُّنِي وَبِكُلِّ سُرُورْ!

قَالَ الْأَرْنَبُ بيتر: «مَرْحَبًا يَا تومي! مِنْ أَيْنَ أَتَيْتَ؟»

«مِنْ عِنْدِ بُسْتَانِ الْمُزَارِعِ براون الْجَدِيدِ فِي أَعْلَى التَّلِّ. إِنَّهُ بُسْتَانٌ جَمِيلٌ يَا بيتر! بُسْتَانٌ جَمِيلٌ. أَنَا أَذْهَبُ هُنَاكَ كُلَّ صَبَاحٍ لِلْإِفْطَارِ. وَإِذَا اسْتَمَرَّ الشِّتَاءُ لِمُدَّةٍ أَطْوَلَ، فَسَوْفَ أَتَمَكَّنُ مِنْ تَنْظِيفِ جَمِيعِ الْأَشْجَارِ لِلْمُزَارِعِ براون.»

بَدَا بيتر حَائِرًا وَسَأَلَهُ: «مَاذَا تَعْنِي؟»

فَأَجَابَ تومي الْعُصْفُورُ وَهُوَ يَدُورُ وَيَتَشَقْلَبُ فِي الْهَوَاءِ: «أَعْنِي بِالضَّبْطِ مَا قُلْتُهُ؛ فَهُنَاكَ مِلْيُونُ بَيْضَةٍ مِنْ بَيْضِ الْحَشَرَاتِ عَلَى أَشْجَارِ الْخَوْخِ الصَّغِيرَةِ تِلْكَ، لَكِنِّي أَلْتَقِطُهَا كُلَّهَا بِأَقْصَى سُرْعَتِي؛ فَهِيَ غِذَاءٌ فِي مُنْتَهَى الرَّوْعَةِ أَيُّهَا الْأَرْنَبُ بيتر! غِذَاءٌ فِي مُنْتَهَى الرَّوْعَةِ!» وَبِهَذَا أَنْهَى تومي الْعُصْفُورُ كَلَامَهُ وَرَفْرَفَ بَعِيدًا.

كَانَ بيتر حِينَئِذٍ يُفَكِّرُ فِي هَذَا الْبُسْتَانِ الْجَدِيدِ، بَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ فِي ضَوْءِ الْقَمَرِ يُحَاوِلُ أَنْ يَتَّخِذَ قَرَارَهُ إِلَى أَيْنَ يَذْهَبُ، فِي حِينِ أَسَالَتْ لُعَابَهُ فِكْرَةُ أَشْجَارِ الْخَوْخِ الصَّغِيرَةِ تِلْكَ، وَلَكِنَّ الطَّرِيقَ طَوِيلٌ إِلَى الْبُسْتَانِ فِي أَعْلَى التَّلِّ، طَرِيقٌ طَوِيلٌ لِلْغَايَةِ، وَكَانَ بيتر يَتَسَاءَلُ عَمَّا إِذَا كَانَ بِالْفِعْلِ الطَّرِيقُ آمِنًا كَيْ يَذْهَبَ فِيهِ. وَكَانَ قَدْ أَوْشَكَ عَلَى حَسْمِ أَمْرِهِ بِالْمُحَاوَلَةِ — حَيْثُ إِنَّ بيتر شَدِيدُ الْوَلَعِ بِلِحَاءِ أَشْجَارِ الْخَوْخِ الصَّغِيرَةِ — وَذَلِكَ حِينَ دَوَّى صَوْتٌ مَا! سَقَطَ شَيْءٌ مَا مِنَ السَّمَاءِ عِنْدَ قَدَمَيْهِ بِالضَّبْطِ.

فَزِعَ بيتر حَتَّى كَادَ يَنْقَلِبُ عَلَى ظَهْرِهِ، وَفِي اللَّحْظَةِ ذَاتِهَا صَدَرَتِ الصَّرْخَةُ الشَّرِسَةُ وَالْغَاضِبَةُ، صَرْخَةُ الْبُومَةِ هوتي، حَتَّى أَوْشَكَ قَلْبُ بيتر عَلَى التَّوَقُّفِ بِسَبَبِهَا رَغْمَ أَنَّهُ كَانَ

يَعْلَمُ أَنَّ هوتي لَا يُمْكِنُهَا الْوُصُولُ إِلَيْهِ هُنَاكَ بِالْأَسْفَلِ فِي الدَّغَلِ الْعَزِيزِ. وَحِينَ اسْتَجْمَعَ بيتر شَتَاتَ نَفْسِهِ وَهَدَأَتْ قَفَزَاتُ قَلْبِهِ قَلِيلًا، نَظَرَ كَيْ يَرَى مَا الَّذِي سَقَطَ مِنَ السَّمَاءِ بِالْقُرْبِ مِنْهُ بِالضَّبْطِ؛ فَاتَّسَعَتْ عَيْنَاهُ الْوَاسِعَتَانِ عَنْ آخِرِهِمَا، وَفَرَكَ عَيْنَيْهِ كَيْ يَتَيَقَّنَ تَمَامًا أَنَّهُ بِالْفِعْلِ رَأَى مَا يَظُنُّ أَنَّهُ رَآهُ. أَجَلْ؛ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ أَيُّ شَكٍّ فِي ذَلِكَ ... فَهُنَاكَ عِنْدَ قَدَمَيْهِ كَانَ يَرْقُدُ داني فَأْرُ الْمُرُوجِ!

الفصل الثاني عشر

سَاكِنٌ جَدِيدٌ فِي الدَّغَلِ الْعَزِيزِ

فَتَحَ داني فَأْرُ الْمُرُوجِ عَيْنَيْهِ بِبُطْءٍ ثُمَّ أَغْلَقَهُمَا ثَانِيَةً بِسُرْعَةٍ، كَمَا لَوْ كَانَ خَائِفًا مِنَ النَّظَرِ حَوْلَهُ. وَاسْتَطَاعَ سَمَاعَ شَخْصٍ مَا يَتَكَلَّمُ، وَكَانَ الصَّوْتُ مُحَبَّبًا إِلَيْهِ، فَلَمْ يَكُنْ عَلَى الْإِطْلَاقِ كَصَوْتِ الْبُومَةِ هوتي الْمُرِيعِ؛ فَصَوْتُهَا كَانَ آخِرَ مَا اسْتَطَاعَ داني فَأْرُ الْمُرُوجِ تَذَكُّرَهُ، وَرَقَدَ داني بِلَا حِرَاكٍ لِوَهْلَةٍ وَأَرْهَفَ السَّمْعَ.

سَأَلَ الصَّوْتُ: «يَا لَلْهَوْلِ يا داني! مِنْ أَيْنَ سَقَطْتَ بِحَقِّ السَّمَاءِ؟!» وَكَانَتْ عِبَارَةُ «يَا لَلْهَوْلِ» مِنَ الْعِبَارَاتِ الَّتِي يَسْتَخْدِمُهَا الْأَرْنَبُ بيتر كَثِيرًا. فَتَحَ داني عَيْنَيْهِ ثَانِيَةً. وَكَانَ هُوَ بِالْفِعْلِ الْأَرْنَبَ بيتر.

سَأَلَ داني فَأْرُ الْمُرُوجِ بِصَوْتٍ شَدِيدِ الضَّعْفِ وَالضَّآلَةِ: «أَيْنَ ... أَيْنَ أَنَا؟»

فَأَجَابَ الْأَرْنَبُ بيتر: «مَعِي فِي الدَّغَلِ الْعَزِيزِ، لَكِنْ كَيْفَ وَصَلْتَ إِلَى هُنَا؟ بَدَا وَكَأَنَّكَ سَقَطْتَ مِنَ السَّمَاءِ.»

كَانَ داني فَأْرُ الْمُرُوجِ يَرْتَجِفُ. وَفَجْأَةً تَذَكَّرَ كُلَّ شَيْءٍ: كَيْفَ أَمْسَكَتْ بِهِ الْبُومَةُ هوتي بِمَخَالِبِهَا الْمُدَبَّبَةِ الضَّخْمَةِ وَحَمَلَتْهُ فِي ضَوْءِ الْقَمَرِ عَبْرَ الْمُرُوجِ الْخَضْرَاءِ الْمَكْسُوَّةِ بِالْجَلِيدِ، وَكَيْفَ شَعَرَ بِمَخَالِبِ هوتي وَهِيَ تَنْزَلِقُ ثُمَّ تَمَلَّصَ وَرَفَسَ وَانْثَنَى وَتَقَلَّبَ حَتَّى تَمَزَّقَ مِعْطَفُهُ، ثُمَّ رَاحَ داني يَسْقُطُ وَيَسْقُطُ حَتَّى هَبَطَ فَوْقَ الثَّلْجِ النَّاعِمِ وَتَوَقَّفَ جَسَدُهُ الصَّغِيرُ عَنِ التَّنَفُّسِ. وَآخِرُ مَا اسْتَطَاعَ تَذَكُّرَهُ هُوَ صِيَاحُ هوتي الشَّرِسُ الْمَلِيءُ بِالْغَضَبِ وَالْإِحْبَاطِ؛ فَارْتَجَفَ داني مِنْ جَدِيدٍ.

ثُمَّ خَطَرَ لَهُ شَيْءٌ، عَلَيْهِ أَنْ يَتَوَارَى عَنِ الْأَنْظَارِ! فَرُبَّمَا تُمْسِكُ بِهِ هوتي مِنْ جَدِيدٍ! فَحَاوَلَ داني أَنْ يَهُبَّ عَلَى قَدَمَيْهِ، إِلَّا أَنَّهُ تَأَوَّهَ: «أَوَّاهُ! آهٍ!» وَرَقَدَ ثَانِيَةً بِلَا حِرَاكٍ.

قَالَ الْأَرْنَبُ بيتر بِرِقَّةٍ: «اهْدَأْ، اهْدَأْ وَلَا تَتَحَرَّكْ يَا داني؛ فَلَا يُوجَدُ مَا تَخْشَاهُ هَا هُنَا.» وَكَانَتْ عَيْنَا بيتر الْكَبِيرَتَانِ تَفِيضَانِ بِالدُّمُوعِ حِينَ نَظَرَ إِلَى داني فَأْرِ الْمُرُوجِ؛ فَداني كَانَ كُلُّهُ إِصَابَاتٍ وَجُرُوحًا بِسَبَبِ مَخَالِبِ الْبُومَةِ هوتي الْمُدَبَّبَةِ، وَكَمَا تَعْرِفُ فَإِنَّ بيتر لَدَيْهِ قَلْبٌ رَقِيقٌ لِلْغَايَةِ.

لِذَا رَقَدَ داني بِلَا حِرَاكٍ، فِي حِينِ حَاوَلَ الْأَرْنَبُ بيتر تَوْفِيرَ الرَّاحَةِ لِداني وَتَضْمِيدَ جِرَاحِهِ، وَحَكَى لَهُ داني كُلَّ شَيْءٍ: كَيْفَ أَنَّهُ نَسِيَ أَنْ يُرَاقِبَ السَّمَاءَ؛ وَلِذَا أَمْسَكَتْ بِهِ هوتي، وَكَذَا حَكَى لَهُ عَنْ رِحْلَتِهِ الْمُرِيعَةِ فِي قَبْضَةِ هوتي بِمَخَالِبِهَا الْمُدَبَّبَةِ.

وَأَنْهَى داني كَلَامَهُ قَائِلًا: «يَا إِلَهِي! مَاذَا أَفْعَلُ الْآنَ؟! كَيْفَ لِي أَنْ أَعُودَ إِلَى بَيْتِيَ الْعُشْبِيِّ الدَّافِئِ، وَأَنْفَاقِيَ الصَّغِيرَةِ الْآمِنَةِ تَحْتَ الْجَلِيدِ، وَمَخْزَنِ حُبُوبِيَ الصَّغِيرِ فِي التَّجْوِيفِ الْآمِنِ فِي عَمُودِ السِّيَاجِ الْقَدِيمِ؟!»

بَدَا الْأَرْنَبُ بيتر مُسْتَغْرِقًا فِي التَّفْكِيرِ، ثُمَّ قَالَ: «لَا يُمْكِنُكَ الْقِيَامُ بِذَلِكَ، لَا يُمْكِنُكَ الْقِيَامُ بِذَلِكَ عَلَى الْإِطْلَاقِ؛ فَالطَّرِيقُ طَوِيلٌ أَمَامَ مَخْلُوقٍ صَغِيرٍ مِثْلِكَ، وَلَنْ يَكُونَ مِنَ الْآمِنِ لَكَ أَنْ تُحَاوِلَ؛ فَإِذَا ذَهَبْتَ فِي اللَّيْلِ فَقَدْ تُمْسِكُ بِكَ هوتي مِنْ جَدِيدٍ، وَإِذَا حَاوَلْتَ فِي ضَوْءِ النَّهَارِ؛ فَبِالتَّأْكِيدِ سَوْفَ يَرَاكَ الصَّقْرُ الْعَجُوزُ مريش الساقين، وَفِي اللَّيْلِ أَوِ النَّهَارِ قَدْ تَأْتِي الْجَدَّةُ ثعلبة الْعَجُوزُ أَوِ الثَّعْلَبُ ريدي مُتَلَصِّصَيْنِ، وَإِنْ أَتَيَا … فَسَوْفَ يَحْرِصَانِ عَلَى الْإِمْسَاكِ بِكَ. دَعْنِي أَقْتَرِحْ عَلَيْكَ أَمْرًا؛ ابْقَ هَا هُنَا فِي الدَّغَلِ الْعَزِيزِ فَهُوَ آمَنُ مَكَانٍ فِي الْعَالَمِ. فَقَطْ فَكِّرْ أَنَّهُ هُنَا يُمْكِنُكَ الْخُرُوجُ فِي وَضَحِ النَّهَارِ بَلْ وَالسُّخْرِيَةُ مِنَ الْجَدَّةِ ثعلبة وَالثَّعْلَبِ ريدي وَالصَّقْرِ الْعَجُوزِ مريش الساقين؛ لِأَنَّ شَجَرَ الْعُلَّيْقِ الْقَدِيمَ سَيَحُولُ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ إِذَا حَاوَلُوا الْوُصُولَ إِلَيْكَ. وَيُمْكِنُكَ صُنْعُ مَا تَشَاءُ مِنَ الْأَنْفَاقِ تَحْتَ الْجَلِيدِ هُنَا بِالضَّبْطِ مِثْلَمَا صَنَعْتَ هُنَاكَ، وَهُنَا يُوجَدُ الْكَثِيرُ وَالْكَثِيرُ مِنَ الْحُبُوبِ فِي الْأَرْضِ لِتَأْكُلَهُ. أَتَدْرِي أَنَّنِي لَا أَهْتَمُّ بِأَمْرِهِمْ، وَفِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ أَكُونُ مُنْعَزِلًا تَمَامًا أَعِيشُ هُنَا وَحْدِي؟ ابْقَ هُنَا وَسَوْفَ يَكُونُ الدَّغَلُ الْعَزِيزُ بَيْتًا لَنَا نَحْنُ الِاثْنَيْنِ.»

نَظَرَ داني فَأْرُ الْمُرُوجِ إِلَى بيتر بِامْتِنَانٍ، وَقَالَ: «سَوْفَ أَبْقَى، وَأَنَا شَاكِرٌ لَكَ إِلَى الْأَبَدِ أَيُّهَا الْأَرْنَبُ بيتر.»

وَهَكَذَا حَظِيَ الدَّغَلُ الْعَزِيزُ بِسَاكِنٍ آخَرَ.

الفصل الثالث عشر

الْأَرْنَبُ بيتر يَذْهَبُ إِلَى بُسْتَانِ الْخَوْخِ

نَاشَدَهُ داني فَأْرُ الْمُرُوجِ قَائِلًا: «لَا تَذْهَبْ يَا بيتر! لَا تَذْهَبْ!»

قَفَزَ بيتر إِلَى حَافَةِ الدَّغَلِ الْعَزِيزِ، وَنَظَرَ عَلَى مَدَى الْمُرُوجِ الْمُغَطَّاةِ بِالْجَلِيدِ فِي ضَوْءِ الْقَمَرِ وَحَتَّى التَّلِّ الْوَاقِعِ خَلْفَ مَنْزِلِ الْمُزَارِعِ براون، وَفِي أَعْلَى ذَاكَ التَّلِّ يَسْتَقِرُّ بُسْتَانُ ثِمَارِ الْخَوْخِ الْيَانِعَةِ، وَالَّتِي أَخْبَرَهُ عَنْهَا عُصْفُورُ الْقُرْقُفِ تومي، وَمِنْ وَقْتِهَا يَسِيلُ لُعَابُهُ كُلَّمَا خَطَرَتْ عَلَى بَالِهِ أَشْجَارُ الْخَوْخِ الْيَانِعَةُ تِلْكَ وَلِحَاؤُهَا الطَّرِيُّ.

قَالَ بيتر: «أَظُنُّ أَنِّي سَأَذْهَبُ يَا داني، هَذِهِ الْمَرَّةَ وَحَسْبُ، صَحِيحٌ أَنَّهُ طَرِيقٌ طَوِيلٌ، وَأَنَا لَمْ أَذْهَبْ إِلَى هُنَاكَ مِنْ قَبْلُ، لَكِنَّنِي أَظُنُّهُ آمِنٌ مِثْلُهُ مِثْلُ الْمُرُوجِ أَوِ الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ.»

أَنَا جَرِيءٌ أَنَا قَلْبِي قَوِيٌّ!
غَنِّ مَعِي هُوبْ هُوبْ هُوبِي!
أَخُبُّ خُطَايَ فِي الْعَالَمِ الثَّرِيِّ!
غَنِّ مَعِي هُوبْ هُوبْ هُوبِي!
انْظُرْ إِلَيَّ ... طَوِيلَةٌ هِيَ أُذْنِي،
انْظُرْ إِلَيَّ ... قَوِيَّةٌ هِيَ أَرْجُلِي،
وَفِي صَبَاحِي النَّدِيِّ،

أَحُبُّ خُطَايَ!
غَنِّ مَعِي هُوبْ هُوبْ هُوبِي!

وَبِهَذِهِ الْكَلِمَاتِ غَادَرَ الْأَرْنَبُ بيتر الدَّغَلَ الْعَزِيزَ الْآمِنَ وَالْمُحَبَّبَ إِلَيْهِ، وَذَهَبَ بَعِيدًا وَهُوَ يَقْفِزُ وَيَقْفِزُ عَبْرَ الْمُرُوجِ الْخَضْرَاءِ بِاتِّجَاهِ التَّلِّ وَالْبُسْتَانِ الْجَدِيدِ الْوَاقِعِ خَلْفَ مَنْزِلِ الْمُزَارِعِ براون.

وَتَابَعَهُ داني فَأْرُ الْمُرُوجِ وَهُوَ يَبْتَعِدُ، وَهَزَّ رَأْسَهُ فِي غَيْرِ رِضًا وَقَالَ: «يَا لَهُ مِنْ أَحْمَقَ!» وَأَخَذَ يُكَرِّرُهَا فِي نَفْسِهِ. وَتَسَاءَلَ داني: «لِمَ لَا يَرْضَى بيتر بِمَا لَدَيْهِ مِنْ أَشْيَاءَ جَمِيلَةٍ؟!»

وَأَسْرَعَ بيتر الْخُطَى فِي ضَوْءِ الْقَمَرِ، لَكِنَّهُ كَانَ يَتَوَقَّفُ كُلَّ بِضْعِ دَقَائِقَ لِيَقِفَ عَلَى قَدَمَيْهِ لِيُمْعِنَ النَّظَرَ وَيُرْهِفَ السَّمْعَ. سَمِعَ صَيْحَةَ الصَّيْدِ الشَّرِسَةَ الَّتِي تُطْلِقُهَا الْبُومَةُ هوتي عَلَى الْمَدَى فِي الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ؛ لِذَا فَقَدْ تَأَكَّدَ أَنَّهُ أَمِنَ جَانِبَهَا فِي الْوَقْتِ الْحَاضِرِ. أَمَّا بِشَأْنِ الْجَدَّةِ ثعلبة وَالثَّعْلَبِ ريدي فَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ مُنْذُ عَوْدَتِهِمَا إِلَى الْمُرُوجِ الْخَضْرَاءِ وَالْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ، فَقَدْ ظَلَّا بَعِيدَيْنِ عَنْ مُمْتَلَكَاتِ الْمُزَارِعِ براون؛ لِذَا فَهُوَ لَمْ يُلْقِ لَهُمَا بَالًا.

وَبَعْدَ قَلِيلٍ وَصَلَ بيتر إِلَى الْبُسْتَانِ الْجَدِيدِ. وَكَانَ بِالضَّبْطِ كَمَا أَخْبَرَهُ تومي عُصْفُورُ الْقُرْقُفِ. وَقَفَزَ بيتر إِلَى أَقْرَبِ شَجَرَةِ خَوْخٍ وَأَخَذَ يَقْرِضُ اللِّحَاءَ. يَا إِلَهِي! كَمْ هُوَ لَذِيذٌ! وَدَارَ حَوْلَ الشَّجَرَةِ بِالْكَامِلِ مُنْتَزِعًا اللِّحَاءَ، بَلْ وَقَفَ عَلَى أَرْجُلِهِ الْخَلْفِيَّةِ الطَّوِيلَةِ كَيْ يَصِلَ إِلَى أَعْلَى نُقْطَةٍ يُمْكِنُهُ الْوُصُولُ إِلَيْهَا، ثُمَّ أَخَذَ يَنْبِشُ الْجَلِيدَ مِنْ أَسْفَلِ الشَّجَرَةِ وَيَأْكُلُ حَتَّى أَدْنَى نُقْطَةٍ يُمْكِنُهُ الْوُصُولُ إِلَيْهَا. وَحِينَ لَمْ يَسْتَطِعِ الْحُصُولَ عَلَى الْمَزِيدِ مِنَ اللِّحَاءِ الْغَضِّ اللَّيِّنِ، كَانَ يَنْتَقِلُ إِلَى الشَّجَرَةِ التَّالِيَةِ.

هَكَذَا وَبِالرَّغْمِ مِنْ أَنَّ بيتر لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ ذَلِكَ، فَقَدْ كَانَ يَتَسَبَّبُ فِي أَسْوَأِ أَنْوَاعِ الْأَذَى. فَعِنْدَمَا يَنْتَزِعُ لِحَاءَ شَجَرَةِ الْخَوْخِ الصَّغِيرَةِ مِنْ حَوْلِهَا بِالْكَامِلِ، فَهُوَ بِذَلِكَ يَقْتُلُ الشَّجَرَةَ؛ حَيْثُ إِنَّ بِدَاخِلِ اللِّحَاءِ تَسِيرُ عُصَارَةُ الشَّجَرَةِ بِدَايَةً مِنَ الْجُذُورِ حَتَّى تَصِلَ إِلَى كَافَّةِ الْفُرُوعِ؛ مِمَّا يَمْنَحُ الشَّجَرَةَ الْحَيَاةَ وَالنُّمُوَّ. وَهَكَذَا حِينَ أَكَلَ بيتر اللِّحَاءَ مِنْ حَوْلِ جِذْعِ الشَّجَرَةِ الصَّغِيرَةِ بِالْكَامِلِ، مَنَعَ بِذَلِكَ عُصَارَةَ الشَّجَرَةِ مِنَ الْوُصُولِ إِلَيْهَا نِهَائِيًّا وَقْتَ نُمُوِّهَا. وَبِالتَّأْكِيدِ كَانَ هَذَا أَشَدَّ أَنْوَاعِ الْأَذَى الَّتِي أَقْدَمَ عَلَيْهَا الْأَرْنَبُ بيتر.

لَكِنَّ بيتر لَمْ يَعْرِفْ بِهَذَا، وَاسْتَمَرَّ فِي مَلْءِ مَعِدَتِهِ الْكَبِيرَةِ فِي اسْتِمْتَاعٍ عَظِيمٍ، حَتَّى نَسِيَ أَنْ يَحْتَرِسَ مِنَ الْخَطَرِ. وَحِينَ بَدَأَ لِتَوِّهِ فِي شَجَرَةٍ أُخْرَى، فَجْأَةً انْطَلَقَتْ زَمْجَرَةٌ عَالِيَةٌ مِنْ خَلْفِهِ بِالضَّبْطِ حَتَّى كَادَ قَلْبُهُ يَبْلُغُ حَنْجَرَتَهُ. وَعَرَفَ هَذَا الصَّوْتَ، وَدُونَ حَتَّى أَنْ يَنْتَظِرَ لِيَلْتَفِتَ خَلْفَهُ، انْطَلَقَ إِلَى الْجِدَارِ الْحَجَرِيِّ فِي الْجَانِبِ الْآخَرِ مِنَ الْبُسْتَانِ. وَمِنْ خَلْفِهِ تَمَامًا عِنْدَ كَعْبَيْهِ، كَانَ كَلْبُ الصَّيْدِ باوزر فَاتِحًا فَاهُ الْكَبِيرَ عَنْ آخِرِهِ.

الفصل الرابع عشر

الْمُزَارِعُ براون يَنْصِبُ فَخًّا

وَقَعَ بيتر فِي مُشْكِلَةٍ، فَهُوَ قَدْ وَرَّطَ نَفْسَهُ فِي الْأَذَى وَالْآنَ — مِثْلَ أَيِّ فَرْدٍ يَتَوَرَّطُ فِي الْأَذَى — يَتَمَنَّى لَوْ أَنَّهُ لَمْ يَفْعَلْ. وَأَسْوَأُ مَا فِي الْأَمْرِ أَنَّهُ كَانَ بَعِيدًا جِدًّا عَنْ بَيْتِهِ فِي الدَّغَلِ الْعَزِيزِ. وَلَمْ يَكُنْ يَدْرِي كَيْفَ تَتَسَنَّى لَهُ الْعَوْدَةُ إِلَى بَيْتِهِ ثَانِيَةً. أَيْنَ كَانَ؟ يَا إِلَهِي! كَانَ عِنْدَ الْجِدَارِ الْحَجَرِيِّ عِنْدَ أَحَدِ جَوَانِبِ بُسْتَانِ ثِمَارِ الْخَوْخِ الْيَانِعَةِ الْخَاصِّ بِالْمُزَارِعِ براون. وَكَمْ كَانَ بيتر مُمْتَنًّا لِوُجُودِ الْجِدَارِ الْحَجَرِيِّ الْقَدِيمِ؛ حَيْثُ وَجَدَ فِيهِ مَكَانًا آمِنًا لِلاخْتِبَاءِ! وَظَلَّ باوزر يَتَمَشَّى تَقْرِيبًا طَوَالَ اللَّيْلِ؛ لِذَا لَمْ يَجْرُؤْ بيتر عَلَى أَنْ يُحَاوِلَ الْعَوْدَةَ إِلَى الْمَنْزِلِ. وَالْآنَ وَقَدْ حَلَّ ضَوْءُ النَّهَارِ، عَرَفَ بيتر خُطُورَةَ أَنْ يَظْهَرَ أَنْفُهُ مِنَ الْمَخْبَأِ.

كَانَ بيتر قَلِقًا، بَلْ شَدِيدَ الْقَلَقِ، حَتَّى إِنَّهُ لَمْ يَسْتَطِعِ النَّوْمَ فِي ضَوْءِ النَّهَارِ كَمَا اعْتَادَ أَنْ يَفْعَلَ. وَلِذَا جَلَسَ مُخْتَبِئًا فِي الْجِدَارِ الْقَدِيمِ يَنْتَظِرُ وَيَرْقُبُ. وَبَعْدَ قَلِيلٍ رَأَى الْمُزَارِعَ براون وَابْنَهُ وَقَدْ وَصَلَا إِلَى الْبُسْتَانِ. وَشَاهَدَا عَلَى الْفَوْرِ مَا حَلَّ بِالْمَكَانِ مِنْ خَرَابٍ تَسَبَّبَ بِهِ بيتر، وَاسْتَطَاعَ بيتر مِنْ نَبْرَةِ صَوْتَيْهِمَا تَمْيِيزَ غَضَبِهِمَا الْعَارِمِ. وَذَهَبَا بَعِيدًا لَكِنَّهُمَا عَادَا ثَانِيَةً بَعْدَ قَلِيلٍ، وَظَلَّ بيتر طَوَالَ الْيَوْمِ يُتَابِعُهُمَا وَهُمَا يَعْمَلَانِ عَلَى وَضْعِ شَيْءٍ مَا حَوْلَ كُلِّ شَجَرَةٍ مِنْ شَجَرِ الْخَوْخِ الْيَانِعِ. ازْدَادَ فُضُولُ بيتر بِشِدَّةٍ حَتَّى نَسِيَ تَمَامًا مَشَاكِلَهُ وَمَدَى بُعْدِهِ عَنْ بَيْتِهِ. وَبِالْكَادِ تَمَكَّنَ مِنَ انْتِظَارِ حُلُولِ اللَّيْلِ كَيْ يَرَى مَا كَانَا يَفْعَلَانِهِ.

وَفَوْرَ أَنْ شَرَعَ قُرْصُ الشَّمْسِ الْمَرِحُ الْمُسْتَدِيرُ فِي الذَّهَابِ إِلَى فِرَاشِهِ خَلْفَ التِّلَالِ الْأُرْجُوَانِيَّةِ، شَرَعَ الْمُزَارِعُ براون وَابْنُهُ فِي الْعَوْدَةِ إِلَى الْمَنْزِلِ. وَكَانَ الْمُزَارِعُ براون يَبْتَسِمُ حِينَهَا.

وَقَالَ: «أَظُنُّ أَنَّ هَذَا سَيَتَكَفَّلُ بِهِ!»

وَفَكَّرَ بيتر قَائِلًا: «إِذَنْ مَا مَقْصِدُهُ مِمَّا قَالَ؟ وَعَمَّنْ يَتَحَدَّثُ؟ هَلْ يُمْكِنُ أَنْ أَكُونَ أَنَا الْمَقْصُودَ؟! أَنَا لَا أَحْتَاجُ إِلَى أَحَدٍ يَتَكَفَّلُ بِي.»

انْتَظَرَ بيتر طَوِيلًا قَدْرَ اسْتِطَاعَتِهِ. وَحِينَ هَدَأَتِ الْأُمُورُ كُلُّهَا، وَبَدَأَ ضَوْءُ الْقَمَرِ يَعْكِسُ ظِلَالَ الْأَشْجَارِ فَوْقَ الْجَلِيدِ، تَسَلَّلَ بيتر بِحَذَرٍ شَدِيدٍ خَارِجَ مَخْبَئِهِ. وَلَمْ يَكُنْ هُنَاكَ أَثَرٌ لِباوزر كَلْبِ الصَّيْدِ، وَبَدَا كُلُّ شَيْءٍ سَاكِنًا وَآمِنًا كَمَا كَانَ حِينَ أَتَى لِأَوَّلِ مَرَّةٍ إِلَى الْبُسْتَانِ بِالْأَمْسِ. وَكَانَ بيتر قَدْ عَقَدَ الْعَزْمَ عَلَى الْعَوْدَةِ إِلَى الْمَنْزِلِ مُبَاشَرَةً وَبِأَقْصَى سُرْعَةٍ تَحْمِلُهُ بِهَا قَدَمَاهُ الطَّوِيلَتَانِ، لَكِنَّ فُضُولَهُ الْبَغِيضَ حَدَا بِهِ إِلَى الْإِصْرَارِ عَلَى أَنْ يَعْرِفَ أَوَّلًا مَاذَا كَانَ يَفْعَلُ الْمُزَارِعُ براون وَابْنُهُ بِشَجَرِ الْخَوْخِ.

لِذَا أَسْرَعَ بيتر نَحْوَ أَقْرَبِ شَجَرَةٍ. وَوَجَدَ جِذْعَ الشَّجَرَةِ بِأَكْمَلِهِ؛ بِدَايَةً مِنْ مُسْتَوَى الْأَرْضِ وَحَتَّى أَعْلَى مِنْ مُسْتَوَى وُصُولِهِ مَلْفُوفًا بِشَبَكَةٍ مِنَ الْأَسْلَاكِ. وَلَمْ يَتَمَكَّنْ بيتر مِنْ أَنْ يَقْضَمَ وَلَوْ قَضْمَةً وَاحِدَةً مِنَ اللِّحَاءِ اللَّذِيذِ. وَلَمْ يَكُنْ يَنْتَوِي أَكْلَ أَيِّ شَيْءٍ؛ فَهُوَ كَانَ يَنْتَوِي الْعَوْدَةَ مُبَاشَرَةً إِلَى الْبَيْتِ، لَكِنِ الْآنَ وَحِينَ لَمْ يَسْتَطِعِ الْحُصُولَ عَلَى أَيِّ شَيْءٍ، أَصْبَحَ كُلُّ مَا يُرِيدُهُ عَلَى الْإِطْلَاقِ هُوَ قَضْمَةً وَاحِدَةً. وَنَظَرَ بيتر مِنْ حَوْلِهِ وَبَدَا كُلُّ شَيْءٍ هَادِئًا؛ لِذَا سَيُحَاوِلُ فِي الشَّجَرَةِ التَّالِيَةِ، ثُمَّ يَعُودُ إِلَى الْمَنْزِلِ.

لَكِنَّ الشَّجَرَةَ التَّالِيَةَ كَانَتْ مَلْفُوفَةً بِالْأَسْلَاكِ. تَرَدَّدَ بيتر، وَنَظَرَ مِنْ حَوْلِهِ، وَاسْتَدَارَ كَيْ يَعُودَ إِلَى الْمَنْزِلِ، ثُمَّ دَارَ بِبَالِهِ كَمْ كَانَ مَذَاقُ هَذَا اللِّحَاءِ لَذِيذًا بِالْأَمْسِ، وَتَرَدَّدَ ثَانِيَةً، ثُمَّ أَسْرَعَ نَحْوَ الشَّجَرَةِ الثَّالِثَةِ، وَكَانَتْ مُطَوَّقَةً كَالْأُخْرَيَاتِ بِالضَّبْطِ بِالْأَسْلَاكِ، ثُمَّ نَسِيَ بيتر تَمَامًا فِكْرَةَ الْعَوْدَةِ إِلَى الْمَنْزِلِ؛ فَهُوَ أَرَادَ بَعْضًا مِنْ هَذَا اللِّحَاءِ اللَّذِيذِ، فَأَخَذَ يَجْرِي مِنْ شَجَرَةٍ إِلَى شَجَرَةٍ بِأَقْصَى سُرْعَتِهِ.

وَفِي النِّهَايَةِ، بَعِيدًا فِي آخِرِ الْبُسْتَانِ، وَجَدَ بيتر شَجَرَةً لَا تُحِيطُ بِهَا الْأَسْلَاكُ. وَفَكَّرَ قَائِلًا: «لَا بُدَّ أَنَّهُمَا نَسِيَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ!» وَلَمَعَتْ عَيْنَاهُ. وَلَكِنْ كَانَ يُحِيطُ بِالشَّجَرَةِ الْكَثِيرُ مِنَ الْأَسْلَاكِ الصَّغِيرَةِ اللَّامِعَةِ الْمُغَطَّاةِ بِالثُّلُوجِ، لَكِنَّ بيتر لَمْ يَلْحَظْهَا؛ فَكُلُّ مَا الْتَقَطَتْهُ عَيْنَاهُ هُوَ لِحَاءُ شَجَرَةِ الْخَوْخِ الْيَانِعَةِ اللَّذِيذُ. وَقَفَزَ مُبَاشَرَةً إِلَى مُنْتَصَفِ الْأَسْلَاكِ، وَبَعْدَهَا وَفِي حِينِ كَانَ بيتر يَشُدُّ نَفْسَهُ لِيَنَالَ الْقَضْمَةَ الْأُولَى مِنَ اللِّحَاءِ، شَعَرَ بِشَيْءٍ يَجْذِبُ إِحْدَى رِجْلَيْهِ الْخَلْفِيَّتَيْنِ بِقُوَّةٍ.

الفصل الخامس عشر

الْأَرْنَبُ بيتر يَقَعُ فِي فَخٍّ

حِينَ كَانَ الْأَرْنَبُ بيتر يَشُدُّ نَفْسَهُ لِيَقْضَمَ اللِّحَاءَ مِنْ إِحْدَى أَشْجَارِ الْمُزَارِعِ براون، شَعَرَ بِشَيْءٍ يَجْذِبُ إِحْدَى رِجْلَيْهِ الْخَلْفِيَّتَيْنِ بِقُوَّةٍ، وَفَزِعَ بِشِدَّةٍ، حَتَّى إِنَّهُ قَفَزَ كَيْ يَتَحَاشَاهُ، وَبَدَلًا مِنْ أَنْ يَتَحَاشَاهُ عَلِقَ بِهِ وَوَقَعَ عَلَى وَجْهِهِ وَقَدِ اسْتَحْكَمَ ذَلِكَ الشَّيْءُ حَوْلَ رِجْلِهِ الْخَلْفِيَّةِ وَأَمْسَكَ بِهِ بِشِدَّةٍ. انْتَابَ الْأَرْنَبَ بيتر فَزَعٌ شَدِيدٌ، وَحِينَ كَانَ مُنْبَطِحًا هُنَاكَ فَوْقَ الثُّلُوجِ أَخَذَ يَرْكُلُ وَيَتَمَلَّصُ بِكُلِّ قُوَّتِهِ. إِلَّا أَنَّهُ كُلَّمَا رَكَلَ أَكْثَرَ، ازْدَادَ اسْتِحْكَامُ ذَاكَ الشَّيْءِ الْكَرِيهِ حَوْلَ رِجْلِهِ! وَفِي النِّهَايَةِ أَنْهَكَهُ التَّعَبُ الشَّدِيدُ فَلَمْ يَسْتَطِعِ الرَّكْلَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ وَرَقَدَ بِلَا حِرَاكٍ. فَهَذَا الشَّيْءُ الْبَغِيضُ الَّذِي يُمْسِكُ بِهِ آذَى رِجْلَهُ، وَلَكِنَّهُ أَيْضًا لَمْ يَجْذِبْهُ حِينَ رَقَدَ بِلَا حِرَاكٍ.

وَحِينَ هَدَأَ قَلِيلًا، وَقَفَ بيتر لِيَتَفَحَّصَ ذَاكَ الشَّيْءَ الَّذِي أَمْسَكَ بِهِ بِشِدَّةٍ. كَانَ يُشْبِهُ أَحَدَ فُرُوعِ كَرْمَةِ التُّوتِ الَّتِي كَانَ يَتَعَثَّرُ فِيهَا فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ، غَيْرَ أَنَّهُ بَرَّاقٌ وَلَامِعٌ، وَبِلَا أَغْصَانٍ أَوْ أَشْوَاكٍ صَغِيرَةٍ، وَكَذَا فَإِنَّ إِحْدَى نِهَايَاتِهِ مُثَبَّتَةٌ فِي وَتِدٍ. حَاوَلَ بيتر أَنْ يَقْضَمَ الْجُزْءَ اللَّامِعَ، وَلَكِنْ حَتَّى أَسْنَانُهُ الْأَمَامِيَّةُ الْحَادَّةُ الْكَبِيرَةُ لَمْ تَقْدِرْ عَلَى قَطْعِهِ. ثُمَّ أَدْرَكَ بيتر مَاهِيَّةَ هَذَا الشَّيْءِ. إِنَّهُ سِلْكٌ! إِنَّهُ فَخٌّ نَصَبَهُ الْمُزَارِعُ براون كَيْ يُمْسِكَ بِهِ، وَقَدْ سَارَ بيتر إِلَيْهِ مُبَاشَرَةً وَقَدْ أَعْمَاهُ جَشَعُهُ لِتَنَاوُلِ لِحَاءِ شَجَرَةِ الْخَوْخِ الْيَانِعَةِ؛ فَلَمْ يَرَ الْخَطَرَ مِنْ حَوْلِهِ.

أَوَّاهُ! كَمْ تَمَنَّى بيتر لَوْ لَمْ يَتَمَلَّكْهُ الْفُضُولُ الشَّدِيدُ لِيَعْرِفَ مَا الَّذِي كَانَ يَفْعَلُهُ الْمُزَارِعُ براون فِي ذَاكَ النَّهَارِ، وَأَنَّهُ عَادَ إِلَى الْبَيْتِ مُبَاشَرَةً كَمَا كَانَ يَنْتَوِي أَنْ يَفْعَلَ بَدَلًا مِنْ مُحَاوَلَةِ

الْحُصُولِ عَلَى وَجْبَةٍ أُخْرَى مِنْ لِحَاءِ الْخَوْخِ الْغَضِّ! وَانْهَمَرَتِ الدُّمُوعُ غَزِيرَةً عَلَى وَجْنَتَيْ بيتر. مَاذَا عَلَيْهِ أَنْ يَفْعَلَ؟ بَلْ مَاذَا يُمْكِنُهُ أَنْ يَفْعَلَ؟ وَلِفَتْرَةٍ طَوِيلَةٍ جَلَسَ بيتر فِي ضَوْءِ الْقَمَرِ، يُحَاوِلُ أَنْ يُفَكِّرَ فِي شَيْءٍ مَا يَقُومُ بِهِ. وَفَكَّرَ أَخِيرًا فِي الْوَتِدِ الْمُثَبَّتِ فِيهِ ذَاكَ السِّلْكُ الْكَرِيهُ. وَكَانَ الْوَتِدُ مَصْنُوعًا مِنَ الْخَشَبِ، وَأَسْنَانُ بيتر تَقْدِرُ عَلَى قَطْعِ الْخَشَبِ. وَخَفَقَ قَلْبُ بيتر بِالْأَمَلِ، وَبَدَأَ مِنْ فَوْرِهِ فِي دَفْعِ الثُّلُوجِ بَعِيدًا مِنْ حَوْلِ الْوَتِدِ، ثُمَّ هَيَّأَ نَفْسَهُ كَيْ يَقْرِضَ الْوَتِدَ حَتَّى يَنْقَسِمَ إِلَى نِصْفَيْنِ.

عَمِلَ بيتر بِجُهْدٍ كَبِيرٍ فِي الْوَتِدِ وَلِوَقْتٍ طَوِيلٍ، وَكَانَ قَدْ قَرَضَ بِالْفِعْلِ أَكْثَرَ مِنَ النِّصْفِ بِقَلِيلٍ، وَذَلِكَ حِينَ سَمِعَ صَوْتَ زَفِيرٍ عَالِيًا عِنْدَ الطَّرَفِ الْآخَرِ مِنَ الْبُسْتَانِ. وَنَظَرَ إِلَى الْأَعْلَى كَيْ يَرَى مَنْ هُنَاكَ، مَنْ تَظُنُّهُ رَأَى؟ يَا إِلَهِي، كَانَ باوزر كَلْبَ الصَّيْدِ! هُوَ لَمْ يَرَ بيتر بَعْدُ، وَلَكِنَّهُ وَجَدَ بِالْفِعْلِ أَثَرَ بيتر، وَلَمْ يَكُنْ لِيَفْصِلَهُ سِوَى دَقَائِقَ قَلِيلَةٍ حَتَّى يَعْثُرَ عَلَى بيتر نَفْسِهِ.

مِسْكِينٌ بيتر! لَمْ يَكُنْ لَدَيْهِ مُتَّسَعٌ مِنَ الْوَقْتِ لِكَيْ يَنْتَهِيَ مِنْ قَطْعِ الْوَتِدِ. مَاذَا يَسَعُهُ أَنْ يَفْعَلَ؟ قَفَزَ بيتر بِذُعْرٍ تَمَامًا مِثْلَمَا قَفَزَ مِنْ قَبْلُ حِينَ شَعَرَ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ بِالسِّلْكِ يَجْذِبُ رِجْلَهُ بِقُوَّةٍ. وَأَيْضًا وَمِثْلَمَا حَدَثَ مِنْ قَبْلُ؛ عَلِقَ بِهِ وَوَقَعَ عَلَى وَجْهِهِ، وَأَخَذَ يَتَحَرَّكُ بِسُرْعَةٍ وَيَقْفِزُ ثَانِيَةً، لِيَعُودَ وَيَقَعَ كَمَا سَبَقَ. وَحِينَهَا رَآهُ باوزر وَفَتَحَ فَاهُ مُطْلِقًا زَمْجَرَةً عَالِيَةً، وَقَفَزَ بيتر مَرَّةً أُخْرَى بِفَزَعٍ، ثُمَّ صَدَرَ صَوْتُ طَقْطَقَةٍ! لَقَدِ انْكَسَرَ الْوَتِدُ! وَتَدَحْرَجَ بيتر عَلَى رَأْسِهِ إِلَى الْأَمَامِ، وَدَارَ فِي شَقْلَبَةٍ، وَأَخَذَ يُهَرْوِلُ. أَصْبَحَ بيتر حُرًّا أَخِيرًا! أَيْ إِنَّهُ يَسْتَطِيعُ الْجَرْيَ، لَكِنَّهُ كَانَ يَجُرُّ مِنْ خَلْفِهِ جُزْءًا مِنَ الْوَتِدِ.

كَمْ كَانَ الرَّكْضُ صَعْبًا لِلْغَايَةِ! كَانَ هَذَا شَاقًّا؛ فَكَمَا تَرَى اضْطُرَّ بيتر إِلَى أَنْ يَجُرَّ قِطْعَةَ الْوَتِدِ مِنْ خَلْفِهِ. لَكِنَّهُ تَمَكَّنَ مِنْ ذَلِكَ، وَعِنْدَ آخِرِ لَحْظَةٍ زَحَفَ إِلَى دَاخِلِ الْجِدَارِ الْحَجَرِيِّ الْقَدِيمِ عِنْدَ أَحَدِ جَوَانِبِ الْبُسْتَانِ، فِي حِينِ كَانَ باوزر يَنْبَحُ فِي خَيْبَةِ أَمَلٍ فِي اتِّجَاهِ السَّمَاءِ.

الفصل السادس عشر

رِحْلَةُ الْأَرْنَبِ بيتر الشَّاقَّةُ

جَلَسَ بيتر دَاخِلَ الْجِدَارِ الْحَجَرِيِّ الْقَدِيمِ عِنْدَ أَحَدِ جَوَانِبِ بُسْتَانِ الْمُزَارِعِ براون، وَكَانَ يَنْتَظِرُ الْقَمَرَ كَيْ يُطْفِئَ نُورَهُ وَيَغْرَقَ الْعَالَمُ فِي الظَّلَامِ إِلَى أَنْ يُطِيحَ قُرْصُ الشَّمْسِ الْمَرِحُ الْمُسْتَدِيرُ بِأَغْطِيَتِهِ الْوَرْدِيَّةِ وَيَبْدَأَ ارْتِقَاؤُهُ الْيَوْمِيُّ إِلَى الْأُفُقِ الْأَزْرَقِ فِي السَّمَاءِ الزَّرْقَاءِ. وَفِي الشِّتَاءِ، يَطُولُ نَوْمُ قُرْصِ الشَّمْسِ، وَهَكَذَا أَدْرَكَ بيتر أَنَّ أَمَامَهُ سَاعَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثَ سَاعَاتٍ بَعْدَ أَنْ يُطْفِئَ الْقَمَرُ ضَوْءَهُ وَحِينَهَا يَكُونُ الظَّلَامُ دَامِسًا. وَكَذَلِكَ أَدْرَكَ بيتر أَنَّهُ بِحُلُولِ هَذَا الْوَقْتِ تَكُونُ الْبُومَةُ هوتي عَلَى الْأَرْجَحِ حَصَلَتْ عَلَى عَشَائِهَا. وَنَفْسُ الشَّيْءِ مَعَ الْجَدَّةِ ثعلبة الْعَجُوزِ وَالثَّعْلَبِ ريدي. أَمَّا كَلْبُ الصَّيْدِ باوزر فَسَيَكُونُ شَدِيدَ النُّعَاسِ فَلَنْ يَسْتَطِيعَ الْمُرَاقَبَةَ، وَحِينَهَا يَكُونُ الْوَقْتُ آمِنًا جِدًّا لِبيتر كَيْ يُحَاوِلَ الْعَوْدَةَ إِلَى بَيْتِهِ فِي الدَّغَلِ الْعَزِيزِ.

لِذَا ظَلَّ بيتر يَنْتَظِرُ وَيَنْتَظِرُ، ثُمَّ أَتَى باوزر — الَّذِي طَارَدَ بيتر حَتَّى الْجِدَارِ الْقَدِيمِ — مَرَّتَيْنِ وَنَبَحَ عَلَيْهِ وَحَاوَلَ الْوُصُولَ إِلَيْهِ، لَكِنَّ الْجِدَارَ الْقَدِيمَ كَفَلَ لِبيتر الْأَمَانَ؛ وَمِنْ ثَمَّ فَقَدَ باوزر الْأَمَلَ. وَطَوَالَ الْوَقْتِ الَّذِي جَلَسَ فِيهِ بيتر يَنْتَظِرُ، كَانَ يُعَانِي أَلَمًا شَدِيدًا؛ فَكَمَا تَرَوْنَ أَنَّ ذَاكَ السِّلْكَ اللَّامِعَ كَانَ مَشْدُودًا بِقُوَّةٍ حَتَّى قَطَعَ لَحْمَهُ وَآذَاهُ بِشِدَّةٍ، وَالطَّرَفُ الْآخَرُ مِنَ السِّلْكِ مُثَبَّتَةٌ فِيهِ قِطْعَةٌ مِنَ الْخَشَبِ، وَهِيَ جُزْءٌ مِنَ الْوَتِدِ الْمُثَبَّتِ عَلَيْهِ الْفَخُّ وَالَّذِي تَمَكَّنَ بيتر مِنْ أَنْ يَقْرِضَهُ وَيَكْسِرَهُ.

وَهَكَذَا اسْتَمَرَّ بيتر فِي انْتِظَارِ الْقَمَرِ حَتَّى يُطْفِئَ ضَوْءَهُ. فَهُوَ أَدْرَكَ أَنَّ مَعَ وُجُودِ هَذَا الْوَتِدِ الْمَجْرُورِ مِنْ خَلْفِهِ سَوْفَ يُضْطَرُّ إِلَى التَّحَرُّكِ بِبُطْءٍ شَدِيدٍ، وَلَمْ يَكُنْ لِيُجَازِفَ بِتَوْرِيطِ نَفْسِهِ فِي مَخَاطِرَ أَكْثَرَ مِمَّا سَوْفَ يُضْطَرُّ لِمُوَاجَهَتِهِ بِالْفِعْلِ. لِذَا ظَلَّ يَنْتَظِرُ وَيَنْتَظِرُ، وَبَعْدَ وَقْتٍ وَجِيزٍ، وَكَمَا هُوَ مُتَوَقَّعٌ، أَطْفَأَ الْقَمَرُ ضَوْءَهُ. وَانْتَظَرَ بيتر بَعْدَ ذَلِكَ وَقْتًا قَلِيلًا، مُلْقِيًا

سَمْعَهُ لِأَقْصَى دَرَجَةٍ، وَبَدَا كُلُّ شَيْءٍ سَاكِنًا. ثُمَّ تَسَلَّلَ بيتر إِلَى خَارِجِ الْجِدَارِ الْحَجَرِيِّ الْقَدِيمِ.

وَفِي الْحَالِ بَدَأَتِ الْمَتَاعِبُ؛ حَيْثُ إِنَّ الْوَتِدَ الْمَجْرُورَ فِي نِهَايَةِ السِّلْكِ الْمُثَبَّتِ فِي رِجْلِهِ عَلِقَ بَيْنَ الْحِجَارَةِ؛ مِمَّا أَجْبَرَ بيتر عَلَى التَّوَقُّفِ فَجْأَةً. يَا إِلَهِي! كَمْ كَانَ الْأَمْرُ مُؤْلِمًا! بَلْ فَاضَتْ دُمُوعُهُ مِنَ الْأَلَمِ. لَكِنَّ بيتر كَزَّ عَلَى أَسْنَانِهِ بِقُوَّةٍ، وَعَادَ ثَانِيَةً وَحَاوَلَ حَتَّى تَمَكَّنَ مِنْ تَحْرِيرِ الْوَتِدِ. ثُمَّ بَدَأَ رِحْلَتَهُ مِنْ جَدِيدٍ وَهُوَ يَجُرُّ الْوَتِدَ مِنْ خَلْفِهِ.

تَسَلَّلَ بيتر بِبُطْءٍ شَدِيدٍ عَبْرَ الْبُسْتَانِ وَمِنْ أَسْفَلِ السُّورِ عَلَى الْجَانِبِ الْآخَرِ، وَكَانَتْ رِجْلُهُ مُتَيَبِّسَةً بِشِدَّةٍ وَمَجْرُوحَةً؛ فَاسْتَطَاعَ بِالْكَادِ أَنْ يُلَامِسَ الْجَلِيدَ، وَظَلَّ طَوَالَ الْوَقْتِ يَجُرُّ تِلْكَ الْقِطْعَةَ مِنَ الْوَتِدِ، وَالَّتِي أَصْبَحَ جَرُّهَا أَثْقَلَ وَأَصْعَبَ مَعَ كُلِّ دَقِيقَةٍ. وَلَمْ يَجْرُؤْ بيتر عَلَى الْخُرُوجِ عَبْرَ الْحُقُولِ الْمَكْشُوفَةِ؛ خَشْيَةَ أَنْ يُصَادِفَ خَطَرًا مَا وَلَنْ يَجِدَ حِينَهَا مَكَانًا لِلِاخْتِبَاءِ. لِذَا تَسَلَّلَ بِبُطْءٍ بِالْقُرْبِ مِنَ الْأَسْوَارِ حَيْثُ تَنْمُو الشُّجَيْرَاتُ؛ مِمَّا جَعَلَ الْأَمْرَ فِي مُنْتَهَى الْمَشَقَّةِ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ الْوَتِدَ الْمَجْرُورَ ظَلَّ يَعْلَقُ طَوَالَ الْوَقْتِ بِالشُّجَيْرَاتِ، فَيَجْذِبُ رِجْلَهُ الْمَجْرُوحَةَ بِشِدَّةٍ؛ مِمَّا يُجْبِرُ بيتر عَلَى التَّوَقُّفِ وَهُوَ يَصْرُخُ مِنَ الْأَلَمِ.

وَمَعَ أَنَّ الْأَمْرَ كَانَ فِي غَايَةِ السُّوءِ، إِلَّا أَنَّهُ ازْدَادَ سُوءًا مَعَ إِحْسَاسِ بيتر الْمُسْتَمِرِّ بِالرُّعْبِ الْفَظِيعِ مِنَ الْبُومَةِ هوتي أَوِ الْجَدَّةِ ثعلبة؛ فَقَدْ يَتَصَادَفُ أَنْ تَأْتِيَا. وَمَعَ هَذَا فَلَمْ يَسَعْهُ سِوَى أَنْ يَتَوَقَّفَ كَيْ يَسْتَرِيحَ، لَكِنَّهُ كَانَ كَثِيرَ التَّوَقُّفِ، وَحِينَهَا يُلْقِي سَمْعَهُ أَكْثَرَ وَأَكْثَرَ. وَأَخَذَ يُرَدِّدُ فِي نَفْسِهِ قَائِلًا:

«يَا إِلَهِي! مِنْ أَجْلِ مَاذَا صَعِدْتُ إِلَى بُسْتَانِ ثِمَارِ الْخَوْخِ الْيَانِعَةِ فِي حِينِ أَنَّنِي كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يَحِقُّ لِيَ الذَّهَابُ إِلَى هُنَاكَ؟! لِمَ لَمْ أَرْضَ بِكُلِّ مَا كَانَ لَدَيَّ مِنْ أَشْيَاءَ جَمِيلَةٍ فِي الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ وَفِي الْمُرُوجِ الْخَضْرَاءِ؟ يَا إِلَهِي! يَا إِلَهِي!»

وَفِي حِينِ بَدَأَ قُرْصُ الشَّمْسِ الْمَرِحُ الْمُسْتَدِيرُ يَنْشُرُ ضَوْءَهُ عَلَى الْمُرُوجِ الْخَضْرَاءِ، كَانَ الْأَرْنَبُ بيتر قَدْ وَصَلَ إِلَى الدَّغَلِ الْعَزِيزِ، وَكَانَ داني فَأْرُ الْمُرُوجِ يَجْلِسُ عَلَى حَافَةِ الدَّغَلِ وَيَرْتَقِبُ وُصُولَهُ بِقَلَقٍ. زَحَفَ بيتر وَبَدَأَ يَتَسَلَّلُ دَاخِلَ أَحَدِ مَمَرَّاتِهِ السِّرِّيَّةِ الصَّغِيرَةِ. وَاسْتَطَاعَ أَنْ يَدْخُلَ هُوَ، لَكِنَّ الْوَتِدَ الْمَجْرُورَ انْحَشَرَ بَيْنَ شَجَرِ الْعُلَّيْقِ، وَسَقَطَ بيتر فِي الْجَلِيدِ بِالضَّبْطِ حَيْثُ كَانَ، وَقَدْ أَعْيَاهُ التَّعَبُ وَأَنْهَكَهُ؛ فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى الْحَرَكَةِ.

الفصل السابع عشر

داني فَأْرُ الْمُرُوجِ يَنْتَابُهُ الْقَلَقُ

كَانَ داني فَأْرُ الْمُرُوجِ يَعْرُجُ هُنَا وَهُنَاكَ عَبْرَ الدَّغَلِ الْعَزِيزِ؛ حَيْثُ عَاشَ مَعَ بيتر الْأَرْنَبِ مُنْذُ أَفْلَتَ مِنْ بَيْنِ مَخَالِبِ الْبُومَةِ هوتي وَسَقَطَ هُنَاكَ عِنْدَ قَدَمَيْ بيتر الْأَرْنَبِ بِالضَّبْطِ. وَكَانَ داني يَعْرُجُ لِأَنَّهُ لَمْ يَزَلْ ضَعِيفًا وَمَجْرُوحًا مِنْ جَرَّاءِ مَخَالِبِ هوتي الْمُرِيعَةِ، لَكِنَّهُ لَمْ يَتْرُكْ نَفْسَهُ لِلتَّفْكِيرِ كَثِيرًا فِي ذَلِكَ، فَهُوَ كَانَ مُمْتَنًّا لِلْغَايَةِ لِكَوْنِهِ عَلَى قَيْدِ الْحَيَاةِ بِأَيِّ حَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ. وَهَكَذَا كَانَ يَعْرُجُ هُنَا وَهُنَاكَ فِي الدَّغَلِ الْعَزِيزِ، وَيَلْتَقِطُ الْحَبَّ الَّذِي سَقَطَ فَوْقَ الْجَلِيدِ، وَفِي أَحْيَانٍ أُخْرَى يَجْذِبُ بَعْضَ التُّوتِ الْأَحْمَرِ الَّذِي يَتَعَلَّقُ طَوَالَ الشِّتَاءِ بِشُجَيْرَاتِ الْوَرْدِ الْبَرِّيِّ. وَكَانَتْ بُذُورُهُ شَهِيَّةً جِدًّا بِالْفِعْلِ، فَكَانَ داني يَشْعُرُ دَوْمًا بِبَهْجَةٍ كَبِيرَةٍ بَعْدَ تَنَاوُلِهِ وَجْبَةً مِنْهَا.

وَأَصْبَحَ داني شَدِيدَ التَّعَلُّقِ بِبيتر الْأَرْنَبِ؛ حَيْثُ إِنَّ بيتر كَانَ طَيِّبًا لِلْغَايَةِ مَعَهُ. وَشَعَرَ داني أَنَّهُ لَنْ يَتَمَكَّنَ أَبَدًا مِنْ أَنْ يَجْزِيَ بيتر لِقَاءَ كُلِّ هَذِهِ الطِّيبَةِ. وَكَانَ مِنْ طِيبَةِ بيتر الشَّدِيدَةِ أَنْ يَعْرِضَ عَلَيْهِ أَنْ يُشَارِكَهُ الدَّغَلَ الْعَزِيزَ؛ إِذْ كَانَ داني بَعِيدًا جِدًّا عَنْ بَيْتِهِ وَلَنْ يَكُونَ مِنَ الْأَمَانِ أَنْ يُحَاوِلَ الْعَوْدَةَ إِلَى هُنَاكَ، بَلْ قَامَ بيتر بِأَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ؛ فَقَدِ اعْتَنَى بِداني عِنَايَةً بَالِغَةً خِلَالَ الْأَيَّامِ الْقَلِيلَةِ الْأُولَى بَعْدَ إِفْلَاتِهِ مِنَ الْبُومَةِ هوتي، كَمَا أَحْضَرَ لَهُ الطَّعَامَ اللَّذِيذَ لِيَأْكُلَهُ حِينَ كَانَ داني ضَعِيفًا لِلْغَايَةِ وَمَجْرُوحًا وَلَا يَقْدِرُ عَلَى إِحْضَارِ أَيِّ شَيْءٍ لِنَفْسِهِ. أَجَلْ؛ فِي الْحَقِيقَةِ كَانَ بيتر طَيِّبًا لِلْغَايَةِ مَعَهُ.

أَمَّا الْآنَ وَبَيْنَمَا رَاحَ داني يَعْرُجُ هُنَا وَهُنَاكَ، فَلَمْ يَكُنْ سَعِيدًا. أَجَلْ يَا سَيِّدِي، لَمْ يَكُنْ سَعِيدًا. فَالْحَقِيقَةُ هِيَ أَنَّ داني فَأْرَ الْمُرُوجِ انْتَابَهُ الْقَلَقُ. وَكَانَ هَذَا الْقَلَقُ مُخْتَلِفًا عَنْ أَيِّ

قَلَقٍ قَدْ شَعَرَ بِهِ مِنْ قَبْلُ. وَيُمْكِنُكَ أَنْ تَرَى أَنَّ داني — وَلِأَوَّلِ مَرَّةٍ فِي حَيَاتِهِ — يَنْتَابُهُ الْقَلَقُ عَلَى شَخْصٍ آخَرَ؛ فَكَانَ قَلَقُهُ عَلَى الْأَرْنَبِ بيتر؛ حَيْثُ غَابَ بيتر عَنِ الدَّغَلِ الْعَزِيزِ عَلَى مَدَى يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ كَامِلَةٍ، فِي الْغَالِبِ كَانَ يَغِيبُ اللَّيْلَ كُلَّهُ، لَكِنَّهُ لَمْ يَغِبْ قَطُّ النَّهَارَ بِأَكْمَلِهِ. وَتَيَقَّنَ داني أَنَّ شَيْئًا مَا قَدْ حَدَثَ لِبيتر، وَدَارَ بِبَالِهِ كَيْفَ نَاشَدَ بيتر كَيْ لَا يَصْعَدَ إِلَى بُسْتَانِ الْمُزَارِعِ براون مِنْ أَجْلِ ثِمَارِ الْخَوْخِ النَّامِيَةِ. وَقَدْ كَانَ داني يَشْعُرُ فِي أَعْمَاقِهِ بِالْخَطَرِ فِي هَذَا الْأَمْرِ، بِأَنَّ شَيْئًا مَا فَظِيعًا قَدْ يَحْدُثُ لِبيتر. كَمْ سَخِرَ بيتر مِنْهُ وَانْطَلَقَ فِي رِحْلَتِهِ بِشَجَاعَةٍ! لِمَ لَمْ يَعُدْ إِلَى الْبَيْتِ؟

وَفِي حِينِ كَانَ داني يَعْرُجُ هُنَا وَهُنَاكَ، تَحَدَّثَ إِلَى نَفْسِهِ قَائِلًا:

لِمَ لَا تَرْضَى الْمَخْلُوقَاتُ بِكُلِّ مَا تَمْلِكُهُ مِنْ نِعَمٍ عَظِيمَةٍ،
وَيَبْقَوْنَ فِي أَمَاكِنِهِمُ الْآمِنَةِ بَدَلًا مِنَ الْخُرُوجِ بِلَا هُدًى؟!

كَانَتْ هَذِهِ اللَّيْلَةَ الثَّانِيَةَ الَّتِي تَمُرُّ مُنْذُ رَحِيلِ الْأَرْنَبِ بيتر. وَلَمْ يَسْتَطِعْ داني فَأْرُ الْمُرُوجِ النَّوْمَ عَلَى الْإِطْلَاقِ. وَظَلَّ يَدُورُ وَيَدُورُ فِي الدَّغَلِ الْعَزِيزِ وَهُوَ يَعْرُجُ، وَأَخِيرًا جَلَسَ عِنْدَ حَافَةِ الدَّغَلِ كَيْ يَنْتَظِرَ وَيَرْتَقِبَ. وَفِي النِّهَايَةِ وَحِينَ كَانَ قُرْصُ الشَّمْسِ الْمَرِحُ الْمُسْتَدِيرُ الْأَحْمَرُ يُرْسِلُ أُولَى أَشِعَّتِهِ عَلَى الْمَدَى عَبْرَ الْمُرُوجِ الْخَضْرَاءِ، رَأَى داني شَيْئًا مَا يَزْحَفُ نَحْوَ الدَّغَلِ الْعَزِيزِ. فَرَكَ عَيْنَيْهِ وَأَمْعَنَ النَّظَرَ. كَانَ هُوَ ... كَلَّا؛ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ ... بَلَى؛ كَانَ هُوَ الْأَرْنَبَ بيتر! لَكِنْ مَا الَّذِي حَدَثَ لَهُ؟ فَفِي السَّابِقِ كَانَ بيتر دَائِمًا يَعُودُ إِلَى الْبَيْتِ وَهُوَ يَقْفِزُ وَيَقْفِزُ، أَمَّا الْآنَ فَهُوَ يَزْحَفُ، بِالْفِعْلِ يَزْحَفُ! وَلَمْ يَدْرِ داني فَأْرُ الْمُرُوجِ مَاذَا يَفْعَلُ.

اقْتَرَبَ بيتر أَكْثَرَ وَأَكْثَرَ، وَكَانَ هُنَاكَ شَيْءٌ مَا يَتْبَعُهُ. كَلَّا؛ بَلْ كَانَ بيتر يَجُرُّ شَيْئًا مَا خَلْفَهُ. وَأَخِيرًا بَدَأَ بيتر يَزْحَفُ دَاخِلَ أَحَدِ مَمَرَّاتِهِ السِّرِّيَّةِ الصَّغِيرَةِ إِلَى دَاخِلِ الدَّغَلِ الْعَزِيزِ، وَتَعَلَّقَ هَذَا الشَّيْءُ الْمَجْرُورُ مِنْ خَلْفِهِ فِي الْعُلَّيْقِ، وَوَقَعَ بيتر عَلَى رَأْسِهِ فَوْقَ الثُّلُوجِ، وَقَدْ أَعْيَاهُ التَّعَبُ وَأَنْهَكَهُ، فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى الْحَرَكَةِ. ثُمَّ أَدْرَكَ داني مَاذَا كَانَتِ الْمُشْكِلَةُ؛ فَهُنَاكَ سِلْكٌ مُثَبَّتٌ فِي إِحْدَى رِجْلَيْ بيتر الْخَلْفِيَّتَيْنِ الطَّوِيلَتَيْنِ، وَفِي النِّهَايَةِ الْأُخْرَى مِنَ السِّلْكِ مُثَبَّتٌ جُزْءٌ مِنْ وَتِدٍ. بيتر قَدْ وَقَعَ فِي فَخٍّ! وَأَسْرَعَ داني نَحْوَ بيتر وَاغْرَوْرَقَتْ عَيْنَاهُ بِالدُّمُوعِ.

وَهَمَسَ داني: «مِسْكِينٌ يَا بيتر! آهٍ! أَنَا مُشْفِقٌ جِدًّا عَلَيْكَ يَا بيتر!»

الفصل الثامن عشر

داني فَأْرُ الْمُرُوجِ يَرُدُّ الْمَعْرُوفَ

رَقَدَ هُنَاكَ الْأَرْنَبُ بيتر، بَعْدَمَا جَرَّ قِطْعَةَ الْوَتِدِ عَبْرَ مَسَافَةٍ طَوِيلَةٍ، بَلْ مَسَافَةٍ طَوِيلَةٍ جِدًّا فِي الْحَقِيقَةِ. لَكِنِ الْآنَ لَمْ يَعُدْ قَادِرًا عَلَى جَرِّهَا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ؛ حَيْثُ انْحَشَرَتْ فِي شُجَيْرَاتِ الْعُلَّيْقِ. وَلِذَا سَقَطَ بيتر عَلَى الْجَلِيدِ وَبَكَى. أَجَلْ يَا سَيِّدِي، بَكَى بيتر! فَكَمَا تَرَوْنَ قَدْ بَلَغَ بِهِ الْإِعْيَاءُ وَالْإِنْهَاكُ وَالْفَزَعُ مَبْلَغَهُ، كَمَا كَانَتْ رِجْلُهُ مُتَيَبِّسَةً بِشِدَّةٍ وَمَجْرُوحَةً وَتُؤْلِمُهُ لِلْغَايَةِ. وَبَعْدَ هَذَا كُلِّهِ كَانَ مِنَ الْمُؤْلِمِ لِلْغَايَةِ أَنْ يَصِلَ بِالْفِعْلِ إِلَى بَيْتِهِ وَيَعْلَقَ عِنْدَ أَعْتَابِهِ بِالضَّبْطِ. وَلَمْ يَسَعْ بيتر سِوَى أَنْ يَرْقُدَ هُنَاكَ وَيَبْكِيَ. وَلَوِ افْتَرَضْنَا مُجَرَّدَ فَرْضٍ مَجِيءَ الْجَدَّةِ ثعلبة الْعَجُوزِ لِلْبَحْثِ وَوَجَدَتْ بيتر عَالِقًا عَلَى هَذَا النَّحْوِ! فَكُلُّ مَا عَلَيْهَا فِعْلُهُ هُوَ أَنْ تُمْسِكَ بِذَلِكَ الْوَتِدِ الْكَرِيهِ الْعَالِقِ فِي شُجَيْرَاتِ الْعُلَّيْقِ وَتَجْذِبَ بيتر إِلَى الْخَارِجِ حَيْثُ يُمْكِنُهَا الْحُصُولُ عَلَيْهِ. فَلَا غَرَابَةَ إِذَنْ مِنْ بُكَاءِ بيتر!

وَسُرْعَانَ مَا أَدْرَكَ بيتر أَنَّ شَخْصًا مَا كَانَ يَمْسَحُ دُمُوعَهُ، كَانَ داني فَأْرَ الْمُرُوجِ، وَكَانَ يُغَنِّي بِصَوْتِهِ الْعَجِيبِ الضَّئِيلِ. وَبَعْدَ قَلِيلٍ تَوَقَّفَ بيتر عَنِ الْبُكَاءِ وَاسْتَمَعَ، وَهَذَا مَا سَمِعَهُ:

الْبُكَاءُ لَا نَفْعَ مِنْهُ! وَلَوْ لِلَحْظَةٍ! وَلَوْ لِلَحْظَةٍ!
امْسَحْ عَيْنَيْكَ ... أَوْقِفْ دُمُوعَكَ!
اسْتَخْدِمْ حُنْكَتَكَ! هَيَّا اسْتَخْدِمْ حُنْكَتَكَ!
وَتَذَكَّرْ أَنَّ غَدًا لَا يَحْمِلُ أَيَّ نَدَمٍ
فَالْأَمْسُ وَلَّى وَفَاتَ وَالْغَدُ بَعْدَهُ آتٍ
اطْرُدْ قَلَقَكَ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ، لَنْ يَحْدُثَ أَسْوَأُ مِمَّا كَانَ!

وَابْتَسَمَ بيتر عَلَى غَيْرِ رَغْبَةٍ مِنْهُ.

«هَذَا عَظِيمٌ! هَذَا عَظِيمٌ! ابْتَسِمْ يَا بيتر مِلْءَ فَمِكَ، كُلُّ مَشَاكِلِكَ يَا سَيِّدِي سَتَنْتَهِي الْيَوْمَ. وَبَيْنِي وَبَيْنَكَ، لَا أَحْسَبُهَا سَيِّئَةً فِعْلًا كَمَا تَظُنُّ، وَالْآنَ اثْبُتْ فِي مَكَانِكَ لَا حَرَكَةَ، فِي حِينِ أَذْهَبُ وَأَرَى ... مَا سَوْفَ يُعْمَلُ يَا تُرَى.»

وَبِهَذِهِ الْكَلِمَاتِ انْطَلَقَ داني فَأْرُ الْمُرُوجِ بِسُرْعَةٍ وَخِفَّةٍ مُدْهِشَةٍ بِالرَّغْمِ مِنْ ضَعْفِ رِجْلِهِ، وَفِي دَقَائِقَ مَعْدُودَةٍ أَدْرَكَ بيتر مِنْ خِلَالِ الْهَزَّاتِ الْبَسِيطَةِ فِي السِّلْكِ الْمَشْدُودِ حَوْلَ رِجْلِهِ أَنَّ داني كَانَ يَقُومُ بِشَيْءٍ مَا فِي النَّاحِيَةِ الْأُخْرَى. وَبِالْفِعْلِ كَانَ داني فَأْرُ الْمُرُوجِ قَدْ بَدَأَ فِي قَرْضِ تِلْكَ الْقِطْعَةِ مِنَ الْوَتِدِ كَيْ يُحَوِّلَهَا عَنْ آخِرِهَا إِلَى فُتَاتٍ، وَهَكَذَا جَلَسَ هُنَاكَ وَأَخَذَ يَقْرِضُ وَيَقْرِضُ. وَارْتَقَى قُرْصُ الشَّمْسِ إِلَى أَعْلَى فِي السَّمَاءِ، وَتَزَايَدَ جُوعُ داني فَأْرِ الْمُرُوجِ، إِلَّا أَنَّهُ وَاصَلَ قَرْضَهُ لِذَلِكَ الْوَتِدِ الْمُتْعِبِ.

وَبَعْدَ قَلِيلٍ، حِينَ نَظَرَ داني عَبْرَ الْمُرُوجِ الْخَضْرَاءِ الْمَكْسُوَّةِ بِالْجَلِيدِ، رَأَى شَيْئًا جَعَلَ قَلْبَهُ يَخْفِقُ، كَانَ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون قَادِمًا مُبَاشَرَةً بِاتِّجَاهِ الدَّغَلِ الْعَزِيزِ! وَلَمْ يَقُلْ داني أَيَّ شَيْءٍ لِبيتر، بَلْ أَخَذَ يَقْرِضُ بِأَقْصَى سُرْعَتِهِ.

وَأَوْشَكَ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون عَلَى الْوُصُولِ حِينَ تَوَقَّفَ داني عَنِ الْقَرْضِ. وَفِي هَذَا الْوَقْتِ كَانَ مَا تَبَقَّى مِنَ الْوَتِدِ هُوَ جُزْءًا ضَئِيلًا فَقَطْ، وَأَسْرَعَ داني كَيْ يُخْبِرَ بيتر أَنْ لَا شَيْءَ يَمْنَعُهُ الْآنَ مِنَ الذَّهَابِ إِلَى مَلَاذِهِ السِّرِّيِّ جِدًّا فِي قَلْبِ الدَّغَلِ الْعَزِيزِ. وَحِينَ كَانَ بيتر يَجُرُّ نَفْسَهُ بِبُطْءٍ عَلَى الطَّرِيقِ، كَانَ داني يَخِفُّ الْخُطَى مِنْ خَلْفِهِ لِيَحْرِصَ عَلَى أَلَّا يَعْلَقَ السِّلْكُ بِالشُّجَيْرَاتِ. وَوَصَلَا بِأَمَانٍ إِلَى مَلَاذِ بيتر السِّرِّيِّ جِدًّا فِي الْوَقْتِ الَّذِي صَعِدَ فِيهِ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون إِلَى حَافَةِ الدَّغَلِ الْعَزِيزِ.

وَقَالَ: «إِذَنْ هَذَا هُوَ الْمَكَانُ الَّذِي يَعِيشُ فِيهِ ذَلِكَ الْأَرْنَبُ الَّذِي أَتْلَفَ شَجَرَةَ الْخَوْخِ خَاصَّتَنَا! سَنُجَرِّبُ نَصْبَ بَعْضِ الْفِخَاخِ وَنُوقِفُكَ عَنِ التَّخْرِيبِ.»

وَبَقِيَ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون حَتَّى نِهَايَةِ فَتْرَةِ بَعْدِ الظَّهِيرَةِ مَشْغُولًا جِدًّا بِالْعَمَلِ حَوْلَ حَافَةِ الدَّغَلِ الْعَزِيزِ.

الفصل التاسع عشر

بيتر الْأَرْنَبُ وَداني فَأْرُ الْمُرُوجِ يَعِيشَانِ فِي رَفَاهِيَةٍ

جَلَسَ بيتر الْأَرْنَبُ فِي مَكَانِهِ السِّرِّيِّ جِدًّا فِي الدَّغَلِ الْعَزِيزِ، وَكَانَتْ إِحْدَى رِجْلَيْهِ الْخَلْفِيَّتَيْنِ الطَّوِيلَتَيْنِ مُتَوَرِّمَةً عَنْ آخِرِهَا وَمَجْرُوحَةً بِفَظَاعَةٍ مِنْ جَرَّاءِ السِّلْكِ الْحَادِّ الْمُلْتَفِّ حَوْلَهَا وَتَسَبَّبَ فِي تَمَزُّقِ جِلْدِهِ. وَاسْتَطَاعَ سَمَاعَ ابْنِ الْمُزَارِعِ براون وَهُوَ يَلُفُّ عِنْدَ الدَّغَلِ الْعَزِيزِ وَيَتَوَقَّفُ كُلَّ وَقْتٍ بَسِيطٍ لِيَقُومَ بِعَمَلِ شَيْءٍ مَا. وَبِالرَّغْمِ مِنْ أَلَمِهِ، شَعَرَ بيتر بِالْفُضُولِ. وَفِي النِّهَايَةِ نَادَى عَلَى داني فَأْرِ الْمُرُوجِ.

قَالَ الْأَرْنَبُ بيتر: «داني، أَنْتَ صَغِيرُ الْحَجْمِ وَيُمْكِنُكَ أَنْ تَتَوَارَى عَنِ الْأَنْظَارِ أَسْهَلَ مِمَّا يُمْكِنُنِي أَنَا؛ فَاذْهَبْ إِلَى هُنَاكَ وَاقْتَرِبْ قَدْرَ مَا يُوَاتِيكَ مِنْ شَجَاعَةٍ مِنَ ابْنِ الْمُزَارِعِ براون كَيْ تَعْرِفَ مَاذَا يَفْعَلُ.»

وَهَكَذَا تَسَلَّلَ داني فَأْرُ الْمُرُوجِ بِالْقُرْبِ مِنَ ابْنِ الْمُزَارِعِ براون بِقَدْرِ مَا سَمَحَتْ لَهُ شَجَاعَتُهُ، وَأَخَذَ يَتَأَمَّلُ الْمَوْقِفَ كَيْ يَعْرِفَ مَاذَا كَانَ يَفْعَلُ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون. وَبَعْدَ قَلِيلٍ عَادَ إِلَى الْأَرْنَبِ بيتر.

«أَنَا لَا أَعْرِفُ مَا الَّذِي يَفْعَلُهُ يَا بيتر، لَكِنَّهُ يَضَعُ شَيْئًا مَا عِنْدَ كُلِّ مَمَرٍّ مِنْ مَمَرَّاتِكَ الصَّغِيرَةِ السِّرِّيَّةِ، وَالَّتِي تَصِلُ الدَّغَلَ الْعَزِيزَ بِالْمُرُوجِ الْخَضْرَاءِ.»

قَالَ الْأَرْنَبُ بيتر: «آهٍ!»

وَأَكْمَلَ داني فَأْرُ الْمُرُوجِ: «يَا بيتر، هُنَاكَ حَلَقَاتٌ صَغِيرَةٌ مِنْ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ الْغَرِيبَةِ مِثْلَ تِلْكَ الْعَالِقَةِ فِي رِجْلِكَ.»

قَالَ بيتر الْأَرْنَبُ: «هَكَذَا إِذَنْ!»

وَأَضَافَ داني: «كَمَا وَضَعَ أَوْرَاقَ الْكُرُنْبِ وَبَعْضَ قِطَعِ التُّفَّاحِ مِنْ حَوْلِهَا.»

قَالَ الْأَرْنَبُ بيتر: «عَلَيْنَا أَنْ نَحْذَرَ!»

كَانَتْ رِجْلُ بيتر فِي حَالَةٍ سَيِّئَةٍ جِدًّا فِي الْحَقِيقَةِ، وَعَانَى بيتر مِنْ آلَامٍ مُبَرِّحَةٍ. إِلَّا أَنَّ أَسْوَأَ مَا فِي الْأَمْرِ أَنَّهُ لَا يَدْرِي كَيْفَ لَهُ أَنْ يَتَخَلَّصَ مِنَ السِّلْكِ الَّذِي يُمَزِّقُ رِجْلَهُ بِشِدَّةٍ. فَقَدْ حَاوَلَ أَنْ يَقْطَعَ السِّلْكَ بِأَسْنَانِهِ الْكَبِيرَةِ لَكِنَّهُ لَمْ يُفْلِحْ. وَرَاحَ داني فَأْرُ الْمُرُوجِ يُحَاوِلُ أَنْ يَقْرِضَ السِّلْكَ لَكِنْ دُونَ أَيَّةِ جَدْوَى عَلَى الْإِطْلَاقِ. غَيْرَ أَنَّ داني لَا يَفْقِدُ الْأَمَلَ بِسُهُولَةٍ، فَظَلَّ يَعْمَلُ وَيَعْمَلُ عَلَيْهِ. وَبِمُجَرَّدِ أَنْ ظَنَّ أَنَّهُ شَعَرَ بِهِ يَنْزَلِقُ قَلِيلًا، لَمْ يَقُلْ أَيَّ شَيْءٍ، بَلْ وَاصَلَ الْعَمَلَ. وَبَعْدَ قَلِيلٍ كَانَ عَلَى يَقِينٍ بِأَنَّهُ انْزَلَقَ. وَاسْتَمَرَّ فِي الْعَمَلِ بِأَقْصَى طَاقَتِهِ. وَأَخِيرًا جَعَلَهُ مُنْحَلًّا لِلْغَايَةِ حَتَّى تَمَكَّنَ مِنْ خَلْعِهِ مِنْ رِجْلِ بيتر، فِي حِينِ لَمْ يَدْرِ بيتر بِذَلِكَ. فَقَدْ كَانَ فَخُّ الْأَسْلَاكِ الْمُؤْلِمُ هَذَا مُحْكَمَ الْإِغْلَاقِ بِشِدَّةٍ، حَتَّى إِنَّ بيتر فَقَدَ الشُّعُورَ بِأَيِّ إِحْسَاسٍ سِوَى الْإِحْسَاسِ بِالْأَلَمِ فِي رِجْلِهِ؛ وَلِذَا حِينَ خَلَعَ داني فَأْرُ الْمُرُوجِ فَخَّ الْأَسْلَاكِ الْمُؤْلِمَ، لَمْ يَدْرِ بيتر بِذَلِكَ إِلَى أَنْ رَفَعَهُ داني أَمَامَ عَيْنَيْهِ.

يَا إِلَهِي! كَمْ كَانَ بيتر مُمْتَنًّا، وَكَمْ شَكَرَ داني فَأْرَ الْمُرُوجِ! إِلَّا أَنَّ داني قَالَ لَهُ إِنَّهُ لَمْ يَفْعَلْ شَيْئًا يَسْتَحِقُّ الشُّكْرَ عَلَى الْإِطْلَاقِ، وَإِنَّهُ يَدِينُ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا لِلْأَرْنَبِ بيتر لِطِيبَتِهِ الشَّدِيدَةِ مَعَهُ وَالسَّمَاحِ لَهُ بِالْعَيْشِ فِي الدَّغَلِ الْعَزِيزِ.

مَرَّ وَقْتٌ طَوِيلٌ قَبْلَ أَنْ يَتَمَكَّنَ بيتر مِنَ الْقَفْزِ كَمَا اعْتَادَ، إِلَّا أَنَّهُ بَعْدَ الْيَوْمِ الْأَوَّلِ اسْتَطَاعَ أَنْ يَتَحَرَّكَ فِي الْأَرْجَاءِ. وَوَجَدَ أَنَّ ابْنَ الْمُزَارِعِ براون قَدْ نَشَرَ هَذِهِ الْفِخَاخَ السِّلْكِيَّةَ الْكَرِيهَةَ عِنْدَ كُلِّ مَمَرٍّ مِنَ الْمَمَرَّاتِ الصَّغِيرَةِ السِّرِّيَّةِ. لَكِنَّ بيتر يَعْرِفُ الْآنَ مَاهِيَّتَهَا، بَلْ إِنَّهُ بَيَّنَ لِداني فَأْرِ الْمُرُوجِ كَيْفَ يُمْكِنُهُ — نَظَرًا لِصِغَرِ حَجْمِهِ — أَنْ يَتَحَرَّكَ بِأَمَانٍ بَيْنَ الْفِخَاخِ وَيَسْرِقَ كُلَّ أَوْرَاقِ الْكُرُنْبِ وَالتُّفَّاحِ الَّتِي وَضَعَهَا ابْنُ الْمُزَارِعِ براون هُنَاكَ كَطُعْمٍ.

فَكَّرَ داني فَأْرُ الْمُرُوجِ كَمْ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ مُمْتِعٌ وَكَيْفَ أَنَّهُمَا بِذَلِكَ سَيَجْعَلَانِ مِنَ ابْنِ الْمُزَارِعِ براون أُضْحُوكَةً لَهُمَا. وَهَكَذَا كَانَ داني يَسْرِقُ الطُّعْمَ كُلَّ يَوْمٍ، وَعَاشَ داني وَالْأَرْنَبُ بيتر فِي رَفَاهِيَةٍ بَيْنَمَا كَانَتْ رِجْلُ بيتر تَتَمَاثَلُ لِلشِّفَاءِ. وَظَلَّ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون طَوَالَ الْوَقْتِ يَتَسَاءَلُ لِمَ لَمْ يَتَمَكَّنْ مِنَ الْإِمْسَاكِ بِالْأَرْنَبِ بيتر.

الفصل العشرون

داني فَأْرُ الْمُروجِ جَبَانٌ

داني فَأْرُ الْمُرُوجِ جَبَانٌ! هَذَا مَا يَقُولُهُ الْجَمِيعُ، وَمَا يَقُولُهُ الْجَمِيعُ هُوَ حَتْمًا صَحِيحٌ، غَيْرَ أَنَّهُ كَمَا يُمْكِنُ لِأَيِّ فَرْدٍ أَنْ يُخْطِئَ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ، فَكَذَلِكَ الْحَالُ مَعَ الْجَمِيعِ. وَمَعَ ذَلِكَ فَفِي هَذَا الْأَمْرِ مِنَ الْمُرَجَّحِ جِدًّا أَنَّ الْجَمِيعَ عَلَى صَوَابٍ: أَنَّ داني فَأْرَ الْمُرُوجِ جَبَانٌ. وَيُسْأَلُ فِي ذَلِكَ الْأَرْنَبُ بيتر، وَكَذَلِكَ طَائِرُ السِّنْدِيانِ سامي، وَالسِّنْجَابُ الْمُخَطَّطُ، جَمِيعُهُمْ سَيَقُولُونَ لَكَ نَفْسَ الشَّيْءِ، بَلْ قَدْ يَقُولُ طَائِرُ السِّنْدِيَانِ سامي جاي إِنَّ داني يَخَافُ حَتَّى مِنْ ظِلِّهِ، أَوْ يُحَاوِلُ الْهَرَبَ حَتَّى مِنْ ذَيْلِهِ. وَبِالطَّبْعِ هَذَا لَيْسَ صَحِيحًا؛ فَسامي جاي يُحِبُّ أَنْ يَقُولَ أَشْيَاءَ سَيِّئَةً. وَلَيْسَ مِنَ الْمُنْصِفِ فِي حَقِّ داني فَأْرِ الْمُرُوجِ أَنْ نُصَدِّقَ مَا يَقُولُهُ سامي جاي.

إِلَّا أَنَّ الْحَقِيقَةَ هِيَ أَنَّ داني وَبِكُلِّ تَأْكِيدٍ جَبَانٌ، بَلْ وَالْأَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ لَا يَخْجَلُ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ عَلَى الْإِطْلَاقِ وَلَوْ حَتَّى قَلِيلًا.

قَالَ داني وَهُوَ يَجْلِسُ عَلَى عَتَبَةِ بَابِهِ فِي صَبَاحِ يَوْمٍ مُشْمِسٍ وَيَتَحَدَّثُ مَعَ صَدِيقِهِ الضُّفْدَعِ الْعَجُوزِ: «أَتَرَى؟! الْأَمْرُ بِبَسَاطَةٍ عَلَى هَذَا النَّحْوِ: إِذَا لَمْ أَكُنْ جَبَانًا، لَمْ أَكُنْ لِآخُذَ حِذْرِي طَوَالَ الْوَقْتِ، وَإِذَا لَمْ آخُذْ حِذْرِي طَوَالَ الْوَقْتِ، لَمْ يَكُنْ لِيُتَاحَ لِي أَيُّ فُرْصَةٍ لِلْعَيْشِ أَكْثَرَ مِمَّا يُتَاحُ لِتِلْكَ النَّمْلَةِ الْحَمْرَاءِ الْخَرْقَاءِ وَهِيَ تَجْرِي وَتَعْبُرُ مِنْ أَمَامِكَ.»

نَظَرَ الضُّفْدَعُ الْعَجُوزُ إِلَى حَيْثُ أَشَارَ داني، وَإِذْ بِلِسَانِهِ يَخْرُجُ وَيَرْجِعُ ثَانِيَةً بِسُرْعَةٍ فَائِقَةٍ لَمْ يَتَيَقَّنْ حِيَالَهَا داني مَا إِذَا كَانَ قَدْ رَأَى بِالْفِعْلِ مَا رَأَى، لَكِنَّهُ حِينَ نَظَرَ لِيَبْحَثَ

عَنِ النَّمْلَةِ لَمْ يَجِدْ لَهَا أَيَّ أَثَرٍ، وَوَجَدَ بَرِيقَ الرِّضَا يَشِعُّ فِي عَيْنَيِ الضُّفْدَعِ. وَارْتَسَمَ الْجَوَابُ فِي عَيْنَيْ داني حِينَ اسْتَكْمَلَ حَدِيثَهُ.

قَالَ داني: «كَلَّا يَا سَيِّدِي، لَمْ يَكُنْ لِيُتَاحَ لِي وَلَوْ ذَرَّةَ فُرْصَةٍ لِلْبَقَاءِ مِثْلَمَا حَدَثَ مَعَ تِلْكَ النَّمْلَةِ الْخَرْقَاءِ، وَإِذَا كُنْتُ كَبِيرًا وَقَوِيًّا مَثْلَ الْقَيُّوطِ الْعَجُوزِ أَوْ لَدَيَّ أَجْنِحَةٌ رَشِيقَةٌ مِثْلَ النَّوْرَسِ سكيمر أَوْ كُنْتُ غَيْرَ جَذَّابٍ إِلَى حَدٍّ كَبِيرٍ وَكُنْتُ قَبِيحَ الْمَنْظَرِ فَلَا يَرْغَبُ فِي الْتِهَامِي أَحَدٌ مِثْلَ ... مِثْلَ ...» وَتَرَدَّدَ داني ثُمَّ أَكْمَلَ كَلَامَهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصُّعُوبَةِ: «مِثْلَ بَعْضِ الرِّفَاقِ الَّذِينَ أَعْرِفُهُمْ، أَظُنُّ حِينَهَا أَنَّنِي لَمْ أَكُنْ لِأَخَافَ.»

نَظَرَ الضُّفْدَعُ الْعَجُوزُ بِحِدَّةٍ حِينَ ذَكَرَ داني الْمَخْلُوقَاتِ غَيْرَ الْجَذَّابَةِ وَقَبِيحَةَ الْمَظْهَرِ، لَكِنْ كَانَ داني يُحَدِّقُ بَعِيدًا عَبْرَ الْمُرُوجِ الْخَضْرَاءِ وَيَبْدُو فِي غَايَةِ الْبَرَاءَةِ، حَتَّى إِنَّ الضُّفْدَعَ اسْتَنْتَجَ أَنَّهُ حَتْمًا لَمْ يَكُنْ هُوَ الْمَقْصُودَ.

قَالَ الضُّفْدَعُ وَهُوَ يَحُكُّ أَنْفَهُ مُفَكِّرًا: «حَسَنًا؛ أَظُنُّ أَنَّكَ قَدْ تَكُونُ مُحِقًّا، لَكِنْ فِي رَأْيِي يَبْدُو الْخَوْفُ شَيْئًا سَاذَجًا لِلْغَايَةِ، بَلْ إِنَّنِي لَا أَدْرِي مَا هُوَ؛ فَأَنَا لَا أَتَدَخَّلُ فِيمَا لَا يَعْنِينِي، وَلَا أَحَدَ يُضَايِقُنِي أَبَدًا. غَيْرَ أَنِّي أَظُنُّهُ بِالتَّأْكِيدِ شُعُورًا فِي غَايَةِ الْإِزْعَاجِ.»

فَأَجَابَ داني: «هُوَ كَذَلِكَ بِالْفِعْلِ، وَلَكِنْ كَمَا قُلْتُ مِنْ قَبْلُ، مِنَ الْمُفِيدِ جِدًّا أَنْ يَحْذَرَ الْفَرْدُ حِينَ يَكْثُرُ الْمُتَرَبِّصُونَ بِهِ كَمَا هُوَ الْحَالُ مَعِي. وَالْآنَ فَهُنَاكَ الثُّعْبَانُ الْأَسْوَدُ وَ...»

صَاحَ الضُّفْدَعُ الْعَجُوزُ بِفَزَعٍ: «أَيْنَ؟!» وَقَدْ شَحَبَ لَوْنُهُ كَيْفَمَا يُمْكِنُ لِضُفْدَعٍ أَنْ يَصِيرَ شَاحِبَ اللَّوْنِ، وَأَخَذَ يَنْظُرُ بِاضْطِرَابٍ وَقَلَقٍ فِي كُلِّ اتِّجَاهٍ.

وَأَشَاحَ داني بِرَأْسِهِ لِيُخْفِيَ ابْتِسَامَتَهُ؛ فَقَدْ بَدَا عَلَى الضُّفْدَعِ الْعَجُوزِ الْخَوْفُ بِدَرَجَةٍ غَيْرِ مَسْبُوقَةٍ. وَقَالَ داني: «حَسَنًا؛ أَنَا لَمْ أَقْصِدْ أَنَّهُ فِي مَكَانٍ مَا هُنَا مِنْ حَوْلِنَا الْآنَ، فَمَا كُنْتُ عَلَى وَشْكِ قَوْلِهِ أَنَّ الثُّعْبَانَ الْأَسْوَدَ وَالْجَدَّةَ ثعلبة وَريدي الثَّعْلَبَ وَالصَّقْرَ أحمر الذيل وَالْبُومَةَ هوتي وَغَيْرَهُمُ الْكَثِيرَ؛ دَائِمًا يَتَرَقَّبُونَ الْفُرْصَةَ كَيْ يَجْعَلُونِي أَنَا الْمِسْكِينَ الصَّغِيرَ غِذَاءَهُمْ. فَهَلْ تَتَعَجَّبُ مِنْ خَوْفِي مُعْظَمَ الْوَقْتِ؟!»

وَأَجَابَ الضُّفْدَعُ الْعَجُوزُ: «لَا لَا، أَنَا لَا أَتَعَجَّبُ مِنْ خَوْفِكَ؛ فَبِالتَّأْكِيدِ هُوَ أَمْرٌ فَظِيعٌ أَنْ تَشْعُرَ بِعُيُونِهِمُ الْجَوْعَى وَهِيَ تَتَرَبَّصُ بِكَ فِي كُلِّ دَقِيقَةٍ فِي النَّهَارِ وَكَذَلِكَ فِي اللَّيْلِ.»

وَرَدَّ عَلَيْهِ داني: «حَسَنًا؛ الْأَمْرُ لَيْسَ بِهَذَا السُّوءِ، بَلْ مُثِيرٌ. كَمَا أَنَّهُ يُحَفِّزُ بَدِيهَتِي طَوَالَ الْوَقْتِ، وَأَخْشَى أَنِّي سَوْفَ أَجِدُ الْحَيَاةَ فِي غَايَةِ الْمَلَلِ بِالْفِعْلِ إِذَا — كُنْتُ مِثْلَكَ — لَا أَخْشَى شَيْئًا أَوْ أَحَدًا. وَبِالْمُنَاسَبَةِ، أَتَرَى كَيْفَ يَتَحَرَّكُ ذَاكَ الْعُشْبُ عَلَى نَحْوٍ غَرِيبٍ هُنَاكَ؟ يَبْدُو كَمَا لَوْ كَانَ الثُّعْبَانُ الْأَسْوَدُ … يَا لَلْهَوْلِ أَيُّهَا الضُّفْدَعُ الْعَجُوزُ! إِلَى أَيْنَ أَنْتَ ذَاهِبٌ بِهَذِهِ السُّرْعَةِ؟!»

صَاحَ الضُّفْدَعُ الْعَجُوزُ مِنْ خَلْفِهِ: «لَقَدْ تَذَكَّرْتُ لِتَوِّي مَوْعِدًا مُهِمًّا مَعَ ابْنِ عَمِّي الضُّفْدَعِ الْكَبِيرِ عِنْدَ الْبِرْكَةِ الْبَاسِمَةِ» وَبَيْنَمَا كَانَ يُسْرِعُ الْخُطَى تَعَثَّرَ وَوَقَعَ.

ضَحِكَ داني ضَحْكَةً خَافِتَةً وَهُوَ جَالِسٌ بِمُفْرَدِهِ عِنْدَ عَتَبَةِ بَابِهِ، وَقَالَ: «عَجِيبٌ وَغَيْرُ مَعْقُولٍ! الضُّفْدَعُ الْعَجُوزُ لَا يَدْرِي مَا هُوَ الْخَوْفُ! مِنَ الْغَرِيبِ كَيْفَ لَا يَعْتَرِفُ بَعْضُ الْأَشْخَاصِ بِمَا يَرَاهُ الْجَمِيعُ ظَاهِرًا أَمَامَ أَعْيُنِهِمْ. فَهَا أَنَا ذَا أَخَافُ، وَأَنَا عَلَى أَتَمِّ الِاسْتِعْدَادِ أَنْ أَقُولَ ذَلِكَ.»

الفصل الحادي والعشرون

داني فَأْرُ الْمُرُوجِ يَحْظَى بِيَوْمٍ مُثِيرٍ

سَارَ داني فَأْرُ الْمُرُوجِ فِي وَقْتٍ مُبَكِّرٍ لِلْغَايَةِ ذَاتَ صَبَاحٍ عَبْرَ أَحَدِ مَمَرَّاتِهِ الصَّغِيرَةِ السِّرِّيَّةِ. وَكَانَ فِي طَرِيقِهِ لِلْحُصُولِ عَلَى مَخْزُونٍ مِنْ نَوْعٍ مُعَيَّنٍ مِنْ بُذُورِ الْعُشْبِ، النَّوْعِ الَّذِي يُحِبُّهُ كَثِيرًا. وَكَانَ يُفَكِّرُ فِي تِلْكَ الْبُذُورِ لِفَتْرَةٍ طَوِيلَةٍ وَيَنْتَظِرُهَا حَتَّى تَنْضَجَ. وَالْآنَ قَدْ آنَ أَوَانُهَا حَيْثُ عَلِمَ ذَلِكَ بِالْأَمْسِ عِنْدَ ذَهَابِهِ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي يَنْمُو بِهِ هَذَا الْعُشْبُ تَحْدِيدًا، وَلَكِنَّ الْمُشْكِلَةَ الْوَحِيدَةَ هِيَ أَنَّ الْعُشْبَ يَنْمُو عَلَى مَسَافَةٍ بَعِيدَةٍ لِلْغَايَةِ عَنْ بَيْتِ داني، وَلِكَيْ يَصِلَ إِلَيْهِ فَعَلَيْهِ الْمُرُورُ عَبْرَ مَنْطِقَةٍ مَكْشُوفَةٍ تَكُونُ بِهَا الْأَعْشَابُ قَصِيرَةً لِلْغَايَةِ؛ وَمِنْ ثَمَّ لَنْ يَتَمَكَّنَ مِنَ الْمُرُورِ مِنْ تَحْتِهَا.

قَالَ داني لِنَفْسِهِ وَهُوَ يَخْطُو بِحَيَوِيَّةٍ: «أَشْعُرُ فِي أَعْمَاقِي أَنَّ الْيَوْمَ سَوْفَ يَكُونُ يَوْمًا مُثِيرًا، أَظُنُّ لَوْ أَنَّنِي أَنْعَمُ بِالْفِعْلِ بِرَجَاحَةِ الْعَقْلِ لَبَقِيتُ بِالْقُرْبِ مِنَ الْمَنْزِلِ وَتَدَبَّرْتُ أَمْرِي دُونَ الْحَاجَةِ لِهَذِهِ الْبُذُورِ اللَّذِيذَةِ، إِلَّا أَنْ لَا شَيْءَ يَسْتَحِقُّ الاقْتِنَاءَ حَقًّا مَا لَمْ يَسْتَحِقَّ الْعَمَلَ مِنْ أَجْلِهِ، وَتِلْكَ الْبُذُورُ سَيَكُونُ مَذَاقُهَا أَحْلَى بِكَثِيرٍ إِذَا وَاجَهْتُ مَشَقَّةً فِي الْحُصُولِ عَلَيْهَا.»

وَهَكَذَا كَانَ يَخْطُو بِحَيَوِيَّةٍ عَبْرَ مَمَرِّهِ الصَّغِيرِ السِّرِّيِّ، مُلْقِيًا سَمْعَهُ وَفَاتِحًا عَيْنَيْهِ عَنْ آخِرِهِمَا، وَيَشْتَمُّ أَنْفُهُ الدَّقِيقُ بِحَذَرٍ كُلَّ نَسْمَةٍ صَغِيرَةٍ مَرِحَةٍ تَأْتِي، عَسَى أَنْ تَحْمِلَ أَيَّةَ رَائِحَةٍ لِلْخَطَرِ. وَكَانَ اعْتِمَادُهُ بِالْأَسَاسِ عَلَى أُذُنَيْهِ؛ حَيْثُ كَانَ الْعُشْبُ طَوِيلًا لِلْغَايَةِ فَلَمْ يَتَمَكَّنْ مِنْ رُؤْيَةِ مَا حَوْلَهُ حَتَّى حِينَ يَنْهَضُ وَاقِفًا. وَلَمْ يَكُنْ قَدِ اجْتَازَ سِوَى مَسَافَةٍ بَسِيطَةٍ حِينَ ظَنَّ أَنَّهُ سَمِعَ حَفِيفًا غَرِيبًا مِنْ خَلْفِهِ. وَتَوَقَّفَ لِكَيْ يَسْمَعَ، هَا هُوَ يَصْدُرُ ثَانِيَةً، وَبِالتَّأْكِيدِ كَانَ الصَّوْتُ يَأْتِي مِنَ الطَّرِيقِ مِنْ خَلْفِهِ بِالضَّبْطِ! وَلَمْ يَكُنْ فِي حَاجَةٍ لِأَنْ

يُخْبِرَهُ أَحَدٌ مَنِ الَّذِي كَانَ يَصْدُرُ عَنْهُ هَذَا الصَّوْتُ؛ فَهُنَاكَ مَخْلُوقٌ وَاحِدٌ فَقَطْ يُمْكِنُ أَنْ يَصْدُرَ عَنْهُ مِثْلُ هَذَا الصَّوْتِ: الثُّعْبَانُ الْأَسْوَدُ.

الْآنَ يُمْكِنُ لِداني أَنْ يَجْرِيَ بِسُرْعَةٍ شَدِيدَةٍ بِطُولِ مَمَرِّهِ الصَّغِيرِ السِّرِّيِّ، لَكِنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ الثُّعْبَانَ الْأَسْوَدَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَرْكُضَ أَسْرَعَ مِنْهُ. وَجَالَ فِي خَاطِرِ داني وَهُوَ يَنْطَلِقُ بِأَقْصَى سُرْعَةٍ لَهُ عَلَى الْإِطْلَاقِ: «إِنْ لَمْ تَتَمَكَّنْ أَرْجُلِي مِنْ إِنْقَاذِي؛ فَعَلَى بَدِيهَتِي أَنْ تُنْقِذَنِي، يَجِبُ أَنْ أَصِلَ إِلَى عَمُودِ السِّيَاجِ الْأَجْوَفِ الْقَدِيمِ الْمُتَدَاعِي هُنَاكَ.»

وَكَادَتْ أَنْفَاسُهُ أَنْ تَتَوَقَّفَ حِينَ وَصَلَ إِلَى الْعَمُودِ وَهَرْوَلَ إِلَى دَاخِلِ النِّهَايَةِ الْمَفْتُوحَةِ. وَكَانَ يُمَيِّزُ مِنْ صَوْتِ الْحَفِيفِ أَنَّ الثُّعْبَانَ الْأَسْوَدَ وَصَلَ عِنْدَ كَعْبَيْهِ بِالضَّبْطِ. وَالْآنَ فَإِنَّ الْعَمُودَ الْقَدِيمَ كَانَ أَجْوَفَ بِالْكَامِلِ بِاسْتِثْنَاءِ فَتْحَةٍ قَدِيمَةٍ فِي الْمُنْتَصَفِ تَكْفِي بِالْكَادِ كَيْ يَتَسَلَّلَ مِنْهَا داني. وَلَمْ يَكُنِ الثُّعْبَانُ الْأَسْوَدُ يَعْلَمُ أَيَّ شَيْءٍ بِشَأْنِ تِلْكَ الْفَتْحَةِ، وَبِسَبَبِ الْعَتَمَةِ دَاخِلَ الْعَمُودِ الْقَدِيمِ، لَمْ يَرَ داني وَهُوَ يَخْرُجُ مِنْهَا، وَجَرَى داني عَائِدًا مِنْ فَوْقِ الْجِذْعِ، وَفِي اللَّحْظَةِ الْمُنَاسِبَةِ بِالضَّبْطِ، لِيَرَى طَرَفَ ذَيْلِ الثُّعْبَانِ الْأَسْوَدِ وَهُوَ يَخْتَفِي فِي الدَّاخِلِ. ثُمَّ مَاذَا فَعَلَ داني بِرَأْيِكَ؟ تَتَبَّعَ داني الثُّعْبَانَ الْأَسْوَدَ إِلَى دَاخِلِ الْعَمُودِ الْقَدِيمِ، لَكِنَّهُ فِي أَثْنَاءِ ذَلِكَ لَمْ يَصْدُرْ عَنْهُ أَدْنَى صَوْتٍ.

وَاسْتَمَرَّ الثُّعْبَانُ الْأَسْوَدُ فِي طَرِيقِهِ عَبْرَ الْعَمُودِ الْقَدِيمِ وَخَرَجَ مِنَ النَّاحِيَةِ الْأُخْرَى؛ حَيْثُ كَانَ وَاثِقًا مِنْ أَنَّ هَذا هُوَ الطَّرِيقُ الَّذِي سَلَكَهُ داني. وَاسْتَمَرَّ فِي طَرِيقِهِ بِطُولِ الْمَمَرِّ الصَّغِيرِ. وَفِي هَذَا الْوَقْتِ أَدْرَكَ داني أَنَّهُ لَنْ يَطُولَ بِهِ الْوَقْتُ قَبْلَ أَنْ يَكْتَشِفَ أَنَّهُ قَدْ خُدِعَ، وَبِطَبِيعَةِ الْحَالِ فَسَوْفَ يَعُودُ. لِذَا انْتَظَرَ داني لِفَتْرَةٍ بَسِيطَةٍ فَقَطْ كَيْ يَلْتَقِطَ أَنْفَاسَهُ، ثُمَّ جَرَى عَائِدًا بِطُولِ الْمَمَرِّ إِلَى حَيْثُ يَتَفَرَّعُ مَمَرٌّ صَغِيرٌ آخَرُ. وَتَوَقَّفَ داني لِدَقِيقَةٍ وَاحِدَةٍ فَقَطْ.

وَتَبَادَرَ إِلَى ذِهْنِ داني: «إِذَا تَبِعَنِي الثُّعْبَانُ الْأَسْوَدُ، فَسَوْفَ يَكُونُ عَلَى يَقِينٍ مِنْ تَوَقُّعِهِ بِأَنِّي بِلَا شَكٍّ قَدْ سَلَكْتُ ذَلِكَ الْمَمَرَّ الصَّغِيرَ الْآخَرَ؛ لِذَا فَهَذَا مَا لَنْ أَفْعَلَهُ.»

ثُمَّ جَرَى داني أَسْرَعَ مِنْ أَيِّ وَقْتٍ مَضَى، إِلَى أَنْ وَصَلَ إِلَى مَكَانٍ يَتَفَرَّعُ مِنْهُ مَمَرَّانِ صَغِيرَانِ، أَحَدُهُمَا يَتَّجِهُ إِلَى الْيَمِينِ وَالْآخَرُ إِلَى الْيَسَارِ. فَسَلَكَ الْمَمَرَّ الثَّانِيَ وَانْطَلَقَ بِسُرْعَةٍ،

وَبِحُلُولِ هَذَا الْوَقْتِ أَصْبَحَ مِنَ الْمُؤَكَّدِ أَنَّ الثُّعْبَانَ الْأَسْوَدَ سَوْفَ يَتَأَكَّدُ مِنْ أَنَّهُ خُدِعَ؛ مِمَّا سَيَجْعَلُهُ يَنْسَحِبُ مِنَ الْمُطَارَدَةِ. وَكَانَ داني مُحِقًّا.

الْحِكْمَةُ أَفْضَلُ كَثِيرًا مِنَ السُّرْعَةِ،
الْحُكَمَاءُ اتَّفَقُوا عَلَى ذَلِكَ مُنْذُ فَتْرَةٍ.

قَالَ داني ذَلِكَ بَيْنَمَا يُسْرِعُ فِي طَرِيقِهِ نَحْوَ بُذُورِ الْأَعْشَابِ الَّتِي يُحِبُّهَا كَثِيرًا، وَأَضَافَ: «شَعَرْتُ فِي أَعْمَاقِي أَنَّ الْيَوْمَ سَوْفَ يَكُونُ يَوْمًا مُثِيرًا. وَأَتَسَاءَلُ: مَا ذَا الَّذِي سَيَحْدُثُ بَعْدَ ذَلِكَ؟»

الفصل الثاني والعشرون

مَاذَا حَدَثَ بَعْدَ ذَلِكَ لِداني فَأْرِ الْمُرُوجِ؟

تَعَوَّدَ داني كَثِيرًا عَلَى النَّجَاةِ بِالْكَادِ حَتَّى أَصْبَحَ لَا يُضَيِّعُ أَيَّ وَقْتٍ فِي التَّفْكِيرِ فِي ذَلِكَ. وَأَيْضًا لَمْ يُفَكِّرْ هَذِهِ الْمَرَّةَ؛ فَداني يَقُولُ: «مَنْ يُحَاوِلُ أَنْ يَنْظُرَ فِي اتِّجَاهَيْنِ فِي نَفْسِ الْوَقْتِ فَمِنَ الْمُؤَكَّدِ أَنَّهُ لَنْ يَرَى أَيَّ شَيْءٍ.» وَكَانَ داني يُدْرِكُ أَنَّهُ إِذَا فَكَّرَ أَكْثَرَ مِنَ اللَّازِمِ فِي الْأُمُورِ الَّتِي حَدَثَتْ بِالْفِعْلِ، فَلَنْ يَتَمَكَّنَ مِنَ الْبَقَاءِ مُتَيَقِّظًا لِلْأُمُورِ الَّتِي قَدْ تَحْدُثُ.

وَلَمْ يَحْدُثْ أَيُّ شَيْءٍ آخَرَ حِينَ كَانَ داني يُسْرِعُ فِي مَمَرِّهِ الصَّغِيرِ السِّرِّيِّ حَتَّى وَصَلَ إِلَى حَافَةِ رُقْعَةٍ كَبِيرَةٍ مِنَ الْأَعْشَابِ الْقَصِيرَةِ لِلْغَايَةِ الَّتِي لَنْ يَتَمَكَّنَ مِنْ الِاخْتِبَاءِ تَحْتَهَا، فِي حِينِ كَانَ عَلَيْهِ عُبُورُهَا، وَطَوَالَ هَذَا الطَّرِيقِ سَوْفَ يَكُونُ وَاضِحًا لِلْعِيَانِ أَمَامَ أَيِّ شَخْصٍ يَتَصَادَفُ وَيَكُونُ فِي الْأَرْجَاءِ. وَبِحَذَرٍ شَدِيدٍ تَلَصَّصَ وَنَظَرَ هُنَا وَهُنَاكَ، وَلَمْ يَنْسَ أَنْ يَنْظُرَ عَالِيًا فِي السَّمَاءِ. وَلَمْ يَرَ أَيَّ شَخْصٍ فِي الْمَكَانِ، وَسَحَبَ نَفَسًا عَمِيقًا، وَانْطَلَقَ داني عَبْرَ الْمَنْطِقَةِ الْمَكْشُوفَةِ بِأَقْصَى سُرْعَةٍ تَحْمِلُهُ بِهَا رِجْلَاهُ الْقَصِيرَتَانِ.

فِي هَذَا الْحِينِ ظَلَّ الصَّقْرُ أحمر الذيل طَوَالَ الْوَقْتِ قَابِعًا فِي شَجَرَةٍ عَلَى الْمَدَى، وَيَجْلِسُ فِي سُكُونٍ شَدِيدٍ، حَتَّى إِنَّهُ يَبْدُو كَجُزْءٍ مِنَ الشَّجَرَةِ ذَاتِهَا. وَلِهَذَا السَّبَبِ لَمْ يَرَهُ داني، فِي حِينِ رَأَى أحمر الذيل داني فِي نَفْسِ اللَّحْظَةِ الَّتِي انْطَلَقَ فِيهَا عَبْرَ الْمَنْطِقَةِ الْمَكْشُوفَةِ؛ لِأَنَّ عَيْنَيْ أحمر الذيل ثَاقِبَتَانِ جِدًّا، وَيُمْكِنُهُ أَنْ يَرَى عَلَى مَدًى بَعِيدٍ. وَضَحِكَ ضَحْكَةً خَافِتَةً مَلِيئَةً بِالرِّضَا، وَفَرَدَ جَنَاحَيْهِ الْعَرِيضَيْنِ وَانْطَلَقَ خَلْفَ داني.

وَعِنْدَ مُنْتَصَفِ الطَّرِيقِ قَبْلَ الْوُصُولِ إِلَى الْأَمَانِ بَيْنَ الْأَعْشَابِ الطَّوِيلَةِ عَلَى الْجَانِبِ الْآخَرِ، أَلْقَى داني نَظْرَةً سَرِيعَةً مِنْ خَلْفِهِ، وَبَدَا كَمَا لَوْ كَانَ قَلْبُهُ قَفَزَ وَبَلَغَ فَاهُ؛ فَكَانَ هُنَاكَ أحمر الذيل بِمَخَالِبِهِ الْمُدَبَّبَةِ مُتَأَهِّبًا كَيْ يُمْسِكَ بِهِ! أَطْلَقَ داني صَرْخَةَ رُعْبٍ؛ حَيْثُ

لَمْ يُسَاوِرْهُ شَكٌّ فِي أَنَّهُ وَفِي هَذِهِ اللَّحْظَةِ كَانَ سَيَقَعُ بَيْنَ بَرَاثِنِهِ. لَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَنْتَوِي أَنْ يَسْتَسْلِمَ دُونَ أَنْ يُحَاوِلَ الْهُرُوبَ. وَعَلَى مَسَافَةِ ثَلَاثِ قَفَزَاتٍ أَمَامَهُ ظَهَرَ شَيْءٌ مَا غَرِيبُ الْمَنْظَرِ. وَلَمْ يَدْرِ مَا هُوَ، لَكِنْ إِذَا كَانَ بِهِ فَتْحَةٌ فَلَا تَزَالُ أَمَامَهُ فُرْصَةٌ لِكَيْ يَخْدَعَ أحمر الذيل.

قَفْزَةٌ وَاحِدَةٌ! هَلْ سَيَتَمَكَّنُ مِنَ الْوُصُولِ إِلَيْهِ؟ قَفْزَتَانِ! هُنَاكَ فَتْحَةٌ بِهِ! ثَلَاثُ قَفَزَاتٍ! وَمَعَ انْطِلَاقِ صَرْخَةِ رُعْبٍ أُخْرَى، اخْتَفَى داني دَاخِلَ الْفَتْحَةِ فِي اللَّحْظَةِ الْحَاسِمَةِ. مَا هَذَا الَّذِي تَظُنُّ أَنَّهُ كَانَ بِدَاخِلِهِ؟ إِنَّهَا عُلْبَةُ صَلْصَةِ طَمَاطِمَ قَدِيمَةٌ كَانَ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون قَدِ اسْتَخْدَمَهَا مِنْ قَبْلُ كَيْ يَضَعَ بِهَا الطُّعْمَ حِينَ ذَهَبَ لِلصَّيْدِ عِنْدَ الْبِرْكَةِ الْبَاسِمَةِ، وَقَدْ أَلْقَى بِهَا هُنَاكَ فِي طَرِيقِ عَوْدَتِهِ لِلْمَنْزِلِ.

صَرَخَ أحمر الذيل فِي غَضَبٍ وَإِحْبَاطٍ وَهُوَ يَضْرِبُ الْعُلْبَةَ الْقَدِيمَةَ بِمَخَالِبِهِ الْهَائِلَةِ؛ فَقَدْ كَانَ عَلَى يَقِينٍ بَلْ عَلَى يَقِينٍ تَامٍّ مِنْ حُصُولِهِ عَلَى داني فَأْرِ الْمُرُوجِ هَذِهِ الْمَرَّةَ! وَحَاوَلَ أَنْ يَلْتَقِطَ الْعُلْبَةَ عَالِيًا، لَكِنَّهُ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُحْكِمَ قَبْضَتَهُ عَلَيْهَا، وَكَانَتْ تَنْزَلِقُ بَعِيدًا عَنْهُ فِي كُلِّ مَرَّةٍ، وَحَاوَلَ قَدْرَ اسْتِطَاعَتِهِ. وَأَخِيرًا، اسْتَسْلَمَ فِي اشْمِئْزَازٍ وَطَارَ عَائِدًا إِلَى الشَّجَرَةِ الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا حِينَ رَأَى داني فِي الْبِدَايَةِ.

وَبِالطَّبْعِ، كَانَ داني فِي غَايَةِ الذُّعْرِ حِينَ انْزَلَقَتِ الْعُلْبَةُ وَحِينَ صَدَرَتْ أَصْوَاتُ مَخَالِبِ أحمر الذيل وَهُوَ يَضْرِبُ مَخْبَأَ داني الْغَرِيبَ، لَكِنَّهُ قَرَّرَ بِحِكْمَةٍ أَنَّ أَفْضَلَ مَا يُمْكِنُ فِعْلُهُ هُوَ الْبَقَاءُ حَيْثُ هُوَ لِبَعْضِ الْوَقْتِ. وَكَانَ مَحْظُوظًا لِلْغَايَةِ فِيمَا قَامَ بِهِ، كَمَا سَوْفَ يُعْرَفُ بَعْدَ قَلِيلٍ.

الفصل الثالث والعشرون

الْفُضُولُ يَسْتَبِدُّ بِالثَّعْلَبِ ريدي

جَلَسَ داني فَأْرُ الْمُرُوجِ فِي غَايَةِ السُّكُونِ لِوَقْتٍ طَوِيلٍ دَاخِلَ عُلْبَةِ الطَّمَاطِمِ الْقَدِيمَةِ؛ حَيْثُ قَدْ وَجَدَ فِيهَا الْمَلَاذَ مِنَ الصَّقْرِ أحمر الذيل. وَلَمْ تُوَاتِهِ الْجَرْأَةُ الْكَافِيَةُ كَيْ يُخْرِجَ رَأْسَهُ لِيَنْظُرَ حَوْلَهُ، مَخَافَةَ أَنْ يَجِدَ الصَّقْرَ أحمر الذيل يَحُومُ مِنْ فَوْقِهِ وَمُسْتَعِدًّا كَيْ يَنْقَضَّ عَلَيْهِ.

وَفَكَّرَ داني: «إِذَا بَقِيتُ هُنَا لِمُدَّةٍ كَافِيَةٍ، فَسَوْفَ يَمَلُّ وَيَذْهَبُ بَعِيدًا، هَذَا إِنْ لَمْ يَكُنْ قَدْ ذَهَبَ بِالْفِعْلِ. كَانَ هَذَا الصَّبَاحُ مُثِيرًا لِلْغَايَةِ حَتَّى الْآنَ، وَأَشْعُرُ أَنِّي مُرْهَقٌ بَعْضَ الشَّيْءِ؛ فَرُبَّمَا كَذَلِكَ أَنْعَمُ بِقَيْلُولَةٍ أَثْنَاءَ انْتِظَارِي حَتَّى أَطْمَئِنَّ إِلَى خُلُوِّ الطَّرِيقِ.»

وَبِهَذَا انْكَمَشَ داني دَاخِلَ عُلْبَةِ الطَّمَاطِمِ الْقَدِيمَةِ، لَكِنَّ هَذَا لَا يَعْنِي أَنَّ داني سَوْفَ يَنْعَمُ بِتِلْكَ الْقَيْلُولَةِ؛ فَهُوَ قَدْ أَغْلَقَ عَيْنَيْهِ، لَكِنَّ أُذُنَيْهِ لَمْ تَزَالَا مَفْتُوحَتَيْنِ، وَبَعْدَ قَلِيلٍ سَمِعَ داني وَقْعَ خُطُوَاتٍ خَافِتَةٍ وَهِيَ تَقْتَرِبُ. وَاتَّسَعَتْ عَيْنَاهُ عَنْ آخِرِهِمَا، وَنَسِيَ النَّوْمَ تَمَامًا — بِكُلِّ تَأْكِيدٍ — فَهَذِهِ الْخُطُوَاتُ تَبْدُو مَأْلُوفَةً. وَتَبْدُو لِداني شَبِيهَةً لِلْغَايَةِ بِخُطُوَاتِ ... مَنْ فِي ظَنِّكَ؟ إِنَّهُ الثَّعْلَبُ ريدي! وَتَسَارَعَ خَفَقَانُ قَلْبِ داني وَهُوَ يَسْتَمِعُ. هَلْ هَذَا مُمْكِنٌ؟! وَلَمْ يَجْرُؤْ أَنْ يَخْتَلِسَ النَّظَرَ. وَبَعْدَ قَلِيلٍ هَبَّتْ نَسْمَةٌ عَابِرَةٌ تَحْمِلُ رَائِحَةَ شَخْصٍ مَا إِلَى دَاخِلِ عُلْبَةِ الطَّمَاطِمِ الْقَدِيمَةِ. وَحِينَهَا عَلِمَ داني أَنَّهُ الثَّعْلَبُ ريدي.

وَجَالَ فِي خَاطِرِ داني: «يَا إِلَهِي! أَرْجُو أَلَّا يُدْرِكَ أَنَّنِي هُنَا! وَإِنِّي لَأَتَسَاءَلُ مَا الَّذِي أَتَى بِهِ بِأَيِّ حَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ إِلَى هُنَا فِي هَذَا الْوَقْتِ بِالتَّحْدِيدِ.»

إِذَا انْكَشَفَتِ الْحَقِيقَةُ؛ نَجِدُ أَنَّ الْفُضُولَ هُوَ مَا قَدْ أَحْضَرَ ريدي إِلَى هُنَا. حَيْثُ كَانَ ريدي يَبْحَثُ عَنْ فَطُورِهِ بَعِيدًا إِلَى حَدٍّ مَا فِي الْمُرُوجِ الْخَضْرَاءِ فِي الْوَقْتِ الَّذِي كَانَ الصَّقْرُ

أحمر الذيل يُحَاوِلُ فِيهِ جَاهِدًا أَنْ يُمْسِكَ بِداني فَأْرِ الْمُرُوجِ. وَرَأَى ريدي بِعَيْنَيْهِ الثَّاقِبَتَيْنِ الصَّقْرَ أحمر الذيل لَحْظَةَ مُغَادَرَتِهِ الشَّجَرَةَ كَيْ يُلَاحِقَ داني، وَقَدْ أَدْرَكَ مِنْ طَرِيقَةِ طَيَرَانِ أحمر الذيل أَنَّهُ رَأَى شَيْئًا مَا وَأَرَادَ أَنْ يُمْسِكَ بِهِ. وَقَدْ شَاهَدَ أحمر الذيل وَهُوَ يَنْقَضُّ، وَسَمِعَ صَرْخَةَ غَضَبِهِ حِينَ لَمْ يَسْتَطِعِ الْوُصُولَ إِلَى داني؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ داني رَاوَغَهُ حَتَّى دَخَلَ إِلَى عُلْبَةِ الطَّمَاطِمِ الْقَدِيمَةِ. وَرَأَى أحمر الذيل وَهُوَ يَضْرِبُ وَيَضْرِبُ ثَانِيَةً شَيْئًا مَا عَلَى الْأَرْضِ، وَأَخِيرًا طَارَ مُبْتَعِدًا بِاشْمِئْزَازٍ وَهُوَ خَالِي الْوِفَاضِ.

وَتَبَادَرَ إِلَى ذِهْنِ ريدي: «وَالْآنَ أَنَا مُنْدَهِشٌ؛ فَمَا الَّذِي كَانَ الصَّقْرُ يُطَارِدُهُ؟ وَلِمَاذَا لَمْ يَحْصُلْ عَلَيْهِ؛ وَمِنْ ثَمَّ تَصَرَّفَ بِانْزِعَاجٍ وَإِحْبَاطٍ شَدِيدَيْنِ؟ أَظُنُّ أَنَّنِي سَوْفَ أَذْهَبُ إِلَى هُنَاكَ وَأَعْرِفُ.»

وَبَدَأَ يَتَّجِهُ بِخُطًى سَرِيعَةٍ نَحْوَ رُقْعَةِ الْأَعْشَابِ الْقَصِيرَةِ؛ حَيْثُ رَأَى الصَّقْرَ يَضْرِبُ شَيْئًا مَا عَلَى الْأَرْضِ. وَمَعَ اقْتِرَابِهِ، تَسَلَّلَ بِنُعُومَةٍ شَدِيدَةٍ حَتَّى وَصَلَ إِلَى حَافَةِ الرُّقْعَةِ الْمَكْشُوفَةِ. وَتَوَقَّفَ هُنَاكَ وَنَظَرَ بِحِدَّةٍ يَتَفَحَّصُ كُلَّ مَا فِيهَا، وَلَمْ يَرَ أَيَّ شَيْءٍ سِوَى عُلْبَةِ طَمَاطِمَ قَدِيمَةٍ قَدْ رَآهَا ريدي مَرَّاتٍ كَثِيرَةً مِنْ قَبْلُ.

وَفَكَّرَ ريدي: «إِذَنْ؛ مَا الَّذِي يُمْكِنُ أَنْ يَتَعَقَّبَهُ الصَّقْرُ أحمر الذيل هَا هُنَا بِأَيِّ حَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ؟! فَالْعُشْبُ أَقْصَرُ مِنْ أَنْ تَخْتَبِئَ فِيهِ حَتَّى جَرَادَةٌ، وَمَعَ هَذَا لَمْ يَحْصُلِ الصَّقْرُ عَلَى مَا كَانَ يَسْعَى وَرَاءَهُ. هَذَا غَرِيبٌ لِلْغَايَةِ، لَا شَكَّ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ غَرِيبٌ لِلْغَايَةِ.»

وَأَخَذَ يَعْدُو وَيَجْرِي جِيئَةً وَذَهَابًا وَهُوَ يُمِيلُ أَنْفَهُ إِلَى الْأَرْضِ، آمِلًا أَنْ يُنَبِّئَهُ أَنْفُهُ بِمَا لَمْ تَرَهُ عَيْنَاهُ. وَجَرَى جِيئَةً وَذَهَابًا هُنَا وَهُنَاكَ، ثُمَّ تَوَقَّفَ فَجْأَةً.

وَصَاحَ ريدي: «يَا لَفَرْحَتِي!» فَهُوَ قَدْ عَثَرَ عَلَى أَثَرِ رَائِحَةِ داني فَأْرِ الْمُرُوجِ حِينَ كَانَ يَجْرِي نَحْوَ عُلْبَةِ الطَّمَاطِمِ الْقَدِيمَةِ. وَاقْتَادَهُ أَنْفُهُ حَتَّى وَصَلَ ريدي إِلَى الْعُلْبَةِ الْقَدِيمَةِ. وَوَثَبَ مِنْ فَوْقِ الْعُلْبَةِ الْقَدِيمَةِ، وَلَكِنْ فِي النَّاحِيَةِ الْأُخْرَى مِنَ الْعُلْبَةِ لَمْ يَجِدْ ريدي أَيَّ رَائِحَةٍ لِداني فَأْرِ الْمُرُوجِ. وَفَهِمَ عَلَى الْفَوْرِ، وَتَبَدَّى بَرِيقُ الرِّضَا فِي عَيْنَيْهِ الصَّفْرَاوَيْنِ وَهُوَ يَعُودُ إِلَى الْعُلْبَةِ الْقَدِيمَةِ. وَأَدْرَكَ أَنَّ داني حَتْمًا يَخْتَبِئُ هُنَاكَ.

وَزَمْجَرَ قَائِلًا: «لَقَدْ نِلْتُ مِنْكَ هَذِهِ الْمَرَّةَ!» قَالَهَا وَهُوَ يَشْتَمُّ عِنْدَ الْفَتْحَةِ الْمَوْجُودَةِ فِي نِهَايَةِ الْعُلْبَةِ.

الفصل الرابع والعشرون

ريدي الثَّعْلَبُ يَفْقِدُ صَوَابَهُ

أَمْسَكَ ريدي الثَّعْلَبُ بِداني فَأْرِ الْمُرُوجِ، إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يُمْسِكْ بِهِ بَعْدُ؛ فَهُوَ قَدْ وَجَدَ داني مُخْتَبِئًا دَاخِلَ عُلْبَةِ الطَّمَاطِمِ الْقَدِيمَةِ، لَكِنَّهَا لَمْ تَتَّسِعْ لِرَأْسِ ريدي؛ فَلَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُخْرِجَ داني خَارِجَ الْعُلْبَةِ حِينَ أَرَادَ. وَلَمْ يَكُنْ ريدي عَلَى عَجَلَةٍ مِنْ أَمْرِهِ؛ فَهُوَ قَدْ تَنَاوَلَ وَجْبَةَ الْإِفْطَارِ مِنَ الْجَرَادِ، وَكَانَتْ لَذِيذَةً لِلْغَايَةِ؛ وَلِذَا فَكَّرَ ريدي فِي تَعْذِيبِ داني لِبَعْضِ الْوَقْتِ قَبْلَ أَنْ يَلْتَهِمَهُ عَنْ آخِرِهِ. وَرَقَدَ كَيْ يَتَمَكَّنَ مِنَ النَّظَرِ عَبْرَ الْفَتْحَةِ فِي نِهَايَةِ الْعُلْبَةِ الْقَدِيمَةِ وَيَرَى داني وَهُوَ يُحَاوِلُ أَنْ يَنْكَمِشَ عَلَى نَفْسِهِ لِأَقْصَى دَرَجَةٍ فِي النَّاحِيَةِ الْأُخْرَى مِنَ الْعُلْبَةِ. وَابْتَسَمَ ريدي ابْتِسَامَةً وَاسِعَةً حَتَّى تَكَشَّفَتْ أَسْنَانُهُ الطَّوِيلَةُ كُلُّهَا؛ فَدَائِمًا مَا يَكُونُ ريدي شِرِّيرًا، وَبِخَاصَّةٍ حِينَ تَكُونُ ضَحِيَّتُهُ أَصْغَرَ مِنْهُ وَأَضْعَفَ مِنْهُ بِكَثِيرٍ.

وَتَهَكَّمَ ريدي قَائِلًا: «لَقَدْ نِلْتُ مِنْكَ هَذِهِ الْمَرَّةَ أَيُّهَا الْمُتَحَاذِقُ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟!»

وَلَمْ يَقُلْ داني أَيَّ شَيْءٍ.

وَأَكْمَلَ ريدي كَلَامَهُ قَائِلًا: «تَظُنُّ أَنَّكَ كُنْتَ بَارِعًا لِلْغَايَةِ لِأَنَّكَ خَدَعْتَنِي مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟! حَسَنًا؛ هَذِهِ الْمَرَّةَ قَدْ نِلْتُ مِنْكَ حَيْثُ لَنْ تُجْدِيَ حِيَلُكَ؛ فَمَاذَا أَنْتَ فَاعِلٌ إِذَنْ فِي هَذَا الشَّأْنِ؟!»

وَلَمْ يُجِبْهُ داني. فَالْحَقِيقَةُ أَنَّ داني كَانَ مَذْعُورًا لِدَرَجَةِ أَنَّهُ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى الْإِجَابَةِ، كَمَا أَنَّهُ لَمْ يَعْرِفْ مَاذَا يَسَعُهُ أَنْ يَفْعَلَ. لِذَا ظَلَّ سَاكِنًا وَحَسْبُ، لَكِنَّهُ لَمْ يُبْعِدْ عَيْنَيْهِ اللَّامِعَتَيْنِ قَطُّ عَنْ وَجْهِ ريدي الْقَاسِي. فَمَعَ كُلِّ رُعْبِهِ، كَانَ داني يُفَكِّرُ جَاهِدًا، وَقَدْ كَانَ فِي مَوَاقِفَ عَصِيبَةٍ مِنْ قَبْلُ، وَقَدْ تَعَلَّمَ أَلَّا يَفْقِدَ الْأَمَلَ أَبَدًا؛ فَعَسَى أَنْ يَحْدُثَ شَيْءٌ مَا يُخِيفُ ريدي

وَيُبْعِدُهُ. وَعَلَى أَيِّ حَالٍ، عَلَى ريدي أَنْ يُخْرِجَهُ خَارِجَ الْعُلْبَةِ الْقَدِيمَةِ قَبْلَ أَنْ يُقِرَّ داني أَنَّ ريدي أَمْسَكَ بِهِ بِالْفِعْلِ.

لِوَقْتٍ طَوِيلٍ رَقَدَ ريدي هُنَاكَ وَهُوَ يَلْعَقُ قَوَاطِعَهُ وَيَقُولُ كُلَّ شَيْءٍ يَخْطُرُ عَلَى بَالِهِ وَمِنْ شَأْنِهِ إِخَافَةُ داني فَأْرِ الْمُرُوجِ الْمِسْكِينِ. وَفِي النِّهَايَةِ، أَصَابَهُ السَّأَمُ وَحَسَمَ أَمْرَهُ أَنَّ الْوَقْتَ قَدْ حَانَ لِيُنْهِيَ الْمَسْأَلَةَ وَيَنْتَهِيَ مِنْ داني فَأْرِ الْمُرُوجِ فِي نَفْسِ الْوَقْتِ. وَدَفَعَ بِأَنْفِهِ الْمُدَبَّبِ إِلَى دَاخِلِ الْفَتْحَةِ الْمَوْجُودَةِ فِي نِهَايَةِ الْعُلْبَةِ الْقَدِيمَةِ، وَلَكِنَّ الْفَتْحَةَ كَانَتْ صَغِيرَةً جِدًّا عَلَيْهِ وَلَمْ تَكْفِ إِلَّا لِدُخُولِ أَنْفِهِ فَقَطْ، وَلَمْ يَنَلْ سِوَى جَرْحِ أَنْفِهِ فِي الْحَوَافِّ الْحَادَّةِ دُونَ حَتَّى أَنْ يَلْمِسَ داني.

قَالَ ريدي وَهُوَ يَدْفَعُ بِإِحْدَى يَدَيْهِ السَّوْدَاوَيْنِ إِلَى دَاخِلِ الْعُلْبَةِ: «سَوْفَ أَجْذِبُكَ.»

وَفِي الْحَالِ قَامَ داني بِعَضِّ يَدِهِ بِمُنْتَهَى الْقُوَّةِ حَتَّى صَرَخَ ريدي مِنَ الْأَلَمِ وَجَذَبَهَا إِلَى الْخَارِجِ بِسُرْعَةٍ. وَبَعْدَهَا حَاوَلَ ثَانِيَةً مُسْتَخْدِمًا يَدَهُ الْأُخْرَى. وَعَضُّهَا داني بِقُوَّةٍ أَكْبَرَ جَعَلَتْ ريدي يَتَلَوَّى مِنَ الْأَلَمِ وَالْغَضَبِ، ثُمَّ فَقَدَ صَوَابَهُ تَمَامًا — وَمِنَ الْحُمْقِ الشَّدِيدِ أَنْ تَفْقِدَ صَوَابَكَ، بَلْ إِنَّهُ مِنْ أَحْمَقِ مَا يَكُونُ أَنْ تَفْقِدَ صَوَابَكَ — وَضَرَبَ الْعُلْبَةَ الْقَدِيمَةَ، وَتَدَحْرَجَتْ بَعِيدًا وَداني فَأْرُ الْمُرُوجِ بِدَاخِلِهَا. وَيَبْدُو أَنَّ هَذَا أَغْضَبَ ريدي غَايَةَ الْغَضَبِ. وَانْطَلَقَ خَلْفَهَا وَضَرَبَهَا ثَانِيَةً، ثُمَّ قَذَفَ بِهَا فِي الْبِدَايَةِ فِي اتِّجَاهٍ مَا ثُمَّ فِي اتِّجَاهٍ آخَرَ، وَغَضَبُهُ يَتَزَايَدُ أَكْثَرَ وَأَكْثَرَ. وَطَوَالَ هَذَا الْوَقْتِ اسْتَطَاعَ داني فَأْرُ الْمُرُوجِ أَنْ يَظَلَّ فِي الدَّاخِلِ، مَعَ أَنَّهُ كَانَ يَتَخَبَّطُ بِعُنْفٍ.

وَأَخَذَ ريدي يُطِيحُ بِالْعُلْبَةِ الْقَدِيمَةِ هُنَا وَهُنَاكَ عَبْرَ رُقْعَةِ الْأَعْشَابِ الْقَصِيرَةِ، وَقَدْ بَلَغَ بِهِ الْغَضَبُ مَبْلَغَهُ، حَتَّى إِنَّهُ لَمْ يَلْحَظْ إِلَى أَيْنَ كَانَ يُطِيحُ بِالْعُلْبَةِ. وَفِي النِّهَايَةِ أَطَاحَ بِالْعُلْبَةِ وَهِيَ تَدُورُ إِلَى دَاخِلِ مَنْطِقَةِ الْأَعْشَابِ الطَّوِيلَةِ عِنْدَ الطَّرَفِ الْبَعِيدِ مِنَ الرُّقْعَةِ الْمَكْشُوفَةِ بِالْقُرْبِ مِنْ أَحَدِ مَمَرَّاتِ داني الصَّغِيرَةِ السِّرِّيَّةِ. وَبِسُرْعَةِ الْبَرْقِ خَرَجَ داني وَانْطَلَقَ بِطُولِ الْمَمَرِّ الصَّغِيرِ، وَتَحَرَّكَ فِي مُرَاوَغَةٍ إِلَى دَاخِلِ مَمَرٍّ آخَرَ. وَبَعْدَ قَلِيلٍ، دَخَلَ مَمَرًّا ثَالِثًا يَقُودُ إِلَى شَرَكٍ مِنَ السِّلْكِ الْمُسَنَّنِ كَانَ الْمُزَارِعُ براون قَدْ تَرَكَهُ هُنَاكَ حِينَ قَامَ بِبِنَاءِ سُورٍ جَدِيدٍ. وَمِنْ أَسْفَلِهِ كَانَ داني آمِنًا.

وَصَاحَ داني وَهُوَ يَتَنَفَّسُ بِصُعُوبَةٍ بَالِغَةٍ قَائِلًا: «يَاهْ! كَانَ هَذَا أَصْعَبَ فِرَارٍ حَتَّى الْآنَ! وَمَعَ هَذَا أَظُنُّ أَنَّنِي سَوْفَ أَحْصُلُ عَلَى بُذُورِ الْأَعْشَابِ الْمُمَيَّزَةِ هَذِهِ، الَّتِي اجْتَهَدْتُ مِنْ أَجْلِهَا رَغْمَ كُلِّ شَيْءٍ.»

وَهَذَا مَا قَدْ فَعَلَهُ، فِي حِينِ لَمْ يَزَلْ ريدي الثَّعْلَبُ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا يَتَسَاءَلُ كَيْفَ خَرَجَ داني مِنْ عُلْبَةِ الطَّمَاطِمِ الْقَدِيمَةِ دُونَ أَنْ يَدْرِيَ.

رَأَيْتَ مَا يَفْعَلُهُ الْغَضَبُ
لِمَنْ يُطْلِقُونَهُ بِلَا سَبَبٍ
يَسْلُبُ مِنْكَ مَا تَرْغَبُ
وَلَا تَجِدُ مَا تَكْسِبُ!

وَقَدْ حَظِيَ داني بِالْمَزِيدِ وَالْمَزِيدِ مِنَ الْمُغَامَرَاتِ الشَّائِقَةِ، وَلَكِنْ لَنْ تَتَّسِعَ الصَّفَحَاتُ لِلْحَدِيثِ عَنْهَا هَا هُنَا.

